A GRAND SECRET IS FINALLY REVEALED

بارانورمال





CHRISTMAS GIFT

باسم زكي

مالكابا محرز



©MahmoudAllam design

بارانورمال

(مجموعة قصصية)

(أحداث حقيقية)

بقلم / باسم زكي
تدقيق لغوي/ يارا المصري

١

فتاة التابوت

" حينما تمُر بأقوى آلام التعذيب تتمزق روحك حتى تتلاشى فغياهب الأسر، ومع استمراره يعتاده جسدك حتى يموت إحساسك بالألم ! "

بارانورمال_باسم زكي

((أحداث حقيقية))

.. سبعُ أعوام من الجحيم ..

.. فتاةٌ التابوت ..

.. غسيل المُخ ..

اندفعتُ في حركتي تجاه الطريق فلقد تأخرت للغاية على حفل عيد ميلاد (كاثرين) فهي أقرب صديقاتي إلى قلبي وروحي ، ولا ينبغي أن أتأخر عن حفلة عيد ميلادها، توقفت أنتظر أن يُقلني أحدهم بسيارته إلى مدينة (ريد بلوف) التي تعيش بها صديقتي فهي على مقرُبةً من مدينتي ، رُغم أني كُنت مُتعجلة ولا أُريد التأخُر على حفل مولدها إلا أن ولاية (كاليفورنيا) تنتشر فيها حالات الخطف ولا أتمنى أن أقع في تجربةً مُماثلة فيجب أن أكون حريصةً لأبعد حد مع من أتعامل معهم خاصةً للمرةّ الأولى ، لاحت أمامي سيارةً قادمة يقودها شابٌ لجواره امرأة فأشرت لهم فتوقفوا ، نظرةً بسيطة للسيارة كانت كافية بطمأنتي ودفعي للطلب منهم أن يُقلاني معهم لوجهتي ، فكانت طفلتهم تجلس بالمقعد الخلفي فإذًا هي أُسرةً كاملة ولا خوفٌ منها ، رحبُ بطلبي ودلفت إلى داخل السيارةّ أجلس لجوار الفتاةّ الصغيرة بالخلف ، انطلقنا فوجه قائد السيارة حديثهُ لي وهو ينظر إليّ من مرآةّ السيارة قائلاً :

ـ كاميرون هوكر وتلك هي زوجتي جان هوكر وابنتنا فرانكا لجوارك .

أجبتهُ مُبتسمة :

ـ كولين ستان وأنا في طريقي لحضور حفل عيد ميلاد إحدى صديقاتي .

ابتسم وأجابني بلُطفٍ بالغ :

ـ مرحبًا بكِ .

كم كان لطيفاً في حديثه هو وزوجته وكذلك طفلتهم فهي ودودةً للغاية ، انحرف من طريقًا فرعيًا لم أعرفهُ قبلاً فلم أعترض ، بالتأكيد ذلك هو طريق منزلهم وقد يُنزل زوجته وابنته ويكمل معي لوجهتي ، بدوا لي عائلةً غاية في اللُطف والكرم ، توقفنا على الطريق فكان المكان مُنعزلاً مُظلمًا ، هبط السيد (كاميرون) من سيارته وفتح الباب الخلفي للسيارة ، فجأةً وجدتُ سكينًا يُمسك به موضوعًا على عُنقي ، اجتاحني الفزع والذعر وأنا أتسائل :

ـ ما الأمر؟! ، هل فعلتُ شيئًا ؟! .

لم يُجيبني فلقد تبدلت ملامحه تمامًا فكانت قسمات وجهه بأكملها مُظلمةً كليلتي تلك التي قررت فيها الذهاب إلى (كاثرين) ، سحبني من شعري تجاه الغابة ، يمُزق رأسي ألمٌ وأنا أصرُخ مُترجيةً مُحاولة فهم ما الجُرم الذي فعلته له ليفعل بي ذلك ! ، قطعت نصال الخوف روحي في رحلةّ جري إلى الغابة ، ما عساه يفعل بي ؟! ، هل يقتُلني

ويُلقي بي في الغابة ؟! ، أم هو يتبع عصابات الخطف التي تنتشر هنا وتقوم ببيع أعضاء البشر بعد قتلهم ؟! ، أي جحيمٌ ومهلكة أُجر لها في تلك الغابة وأيُ ذنبٌ اقترفته ، توقفنا أما كوخًا خشبيًا دفع رأسي أرضًا تحت أقدامه ، لم أقوى على النهوض فعُدتُ أترجاه ودموعي تغسل وجهي :

ـ ماذا فعلت يا سيد كاميرون ، أستحلفُك بالله فأنا لم أفعل شيئًا ، دعني أرحل ولن أتحدث عن ما جرى فبالتأكيد هو سوء تفاهم لا أكثر .

بدت لي ملامحه مشوشة لكنِ لن أنساها ما دُمتُ حية ، لم تشفع ليّ عنده دموعي وأهات ألمِ وصرخات الترجي ، خلع ملابسه وانحنى عليّ أرضًا يغتصبني وسكينهُ على عُنقي ، كانت تلسعُني قُبلاته كلدغ حيةً مسمومة ، تخنُق أنفي رائحة عرقه القذرة وتحرقني أنفاسه الحقودة كلهيب نيران أشعلت جسدي ، ألامٌ رهيبة تجتاح كُل قطعةً بجسدي ، تتمزق روحي فزعًا ووجعًا لمَ يفعل بي هذا الشيطان ذلك ، لم يتوقف حتى انتهى من فعله الشيطاني ، نهض عني فتوهمت أن قهري انتهى حتى هُنا ولم أعلم أن كُل ذلك لم يكون سوى ضربةّ البداية لأخبث شيطانٌ بشري على وجه الأرض ، اندفع إلى داخل الكوخ وأخرج شريطًا لاصقًا قيد به يدي خلفي وأقدامي وأغلق بأخر قطعةً منه فمي ، حملني عائدًا للسيارة وألقى بي داخل حقيبة السيارة الخلفية ، اجتاح كيانِ الفزع ما الذي سيفعلهُ بي هذا الشيطان ، بالرُغم من أن الرحلة كانت قصيرة الزمن إلا أنها مرت عليّ دهرًا كاملاً بداخل هذا القبر المُتحرك ، فتح باب حقيبة السيارة

بارانورمال_باسم زكي

((أحداث حقيقية))

وحملني من جديد إلى قبو منزلٍ ، ألقى بي أرضًا فشعُرت بألمٍ رهيب بظهري وطقطقت عظامي ، شرع في قياس طولي واندفع إلى ألواحٌ خشبية يُقطع فيها ، لم أفهم ما الذي يفعله حتى بدت تتضح رؤية ما يصنعه ، لقد صنع تابوتً خشبيًا يتناسب مع حجمي وطولي ! ، حملني من الأرض ووضعني بداخله وأغلقهُ عليّ وأنا أحاول الرفض فسدد لكمةً قوية إلى رأسي أفقدتني الوعيّ ، لم أعلم المدة التي فقدتُ فيها وعيّ حتى استفقت وأنا أجد نفسي حبيسةّ هذا التابوت ، مُكبلة اليدين خلفي ومقيدةً الأقدام مُكممةّ الفم ، أين أنا وأين وضعنا هذا الشيطان بداخل ذلك القبرُ المُظلم؟! ، هل قام بدفنِّ حيةً وأنا الآن على أعتاب الموت خنقًا! ، أي جحيمٌ أنا فيه وأي جريمةً فعلتها لأقع فريسة هذا الشيطان ، أصابني مسُ الفزع من الموت وجنون الخوف فصرت أضربُ برُكبتي غطاء التابوت ، لحظات وبدأت أسمع صوت أحدهم يفتح التابوت ، تهللت أساريري واجتاحني شعورًا غامر بالسعادة والأمل في النجاةّ ، يبدو أن أحدهم سمع أنينُ روحي وخبط أقدامي الضعيف فأتى ليُنقذني من هذا القبرُ المُظلم ، فُتح باب القبر فاتسعت حدقتي عيني من هول الصدمة ، تبدلت ملامح وجهي من السعادة والأمل إلى القهر واليأس في لحظة لرؤية وجه هذا الشيطان من جديد! ، انحنى عليّ واقترب من ذراعي بسيجارتهُ المُشتعلة يحرقُ جلدي وهو يُثبت رقبتي بقبضته وأردف وأنا أرتعدُ ألمًا وفزعًا بنبرته الشيطانية :

بارانورمال_باسم زكي

((أحداث حقيقية))

ـ أنتِ أسيرةٌ ودُميتي وتابوتك هذا أسفل فراشي فلا تُقلقي نومي ، فإن أقلقتني اقتطعتُ من جسدك ما يُشفي غليلي منكِ، وإن استمعت لأنينكِ حتى سأُقطع من روحكِ.

تملكني الفزع منه فكُنت أهز رأسي قبولاً لأوامره ، أغلق عليّ قبري من جديد وأمست حياتي بداخل هذا القبر المُظلم لا مُتنفس ليّ منهُ إلا ساعتين من الأربع والعشرون ساعة في اليوم ، يُخرجني فيها من قبري وينهال علي ضربًا بالسياط حتى تمزع جسدي وحرقًا بالنار حتى تقيح جلدي و صعقًا بالكهرباء حتى أستُنزف جسدي ، لم يعود للألم معنى مع مرور الأيام والساعات المُظلمة وساعات التعذيب والاغتصاب ، كان ما يُدهشني حقًا هو عطف هذا الشيطان وزوجته الملعونة مع طفلتهم وحبهم المبالغ فيه لها ، كُنت أتسمع دلالهم لها لأكثر من ثلاثة أعوام وأنا بتابوت الموت أسفل فراش أبويها كُل صباح! ، كان قد وضع ليّ مروحةً صغيرة لجوار رأسي بداخل التابوت لإبقائي على قيد الحياة فكان أزيز دورانها أكثر ألمٌ لعقلي من ألام جسدي اليومية التي لا تنقطع ، مرت قُرابة أربع أعوام حتى بدأت الأمور تتغير قليلاً ، أخرجني من التابوت فذهبت إلى السياط أُحضره من موضعه على الحائط وبسطت يدي لهُ به ! ،

نظر لي وأردف وهو يُعطيني مسدسٌ في يدي :

ـ ضعي فوهة المسدس في فمُكِ وأطلقي الرصاص على نفسك! .

((أحداث حقيقية))

أطبقت يدي على المسدس ووجهت فوته بداخل حلقي وضغط على الزناد ، لم تخرُج رصاصةٌ تُفجر رأسي وتُريحني من ذلك الذُل والعذاب المُهين الذي يسومهُ ليّ هذا الملعون ، إنما انفجرت ضحكاته وتصفيقه ليّ وأردف في غرورٌ وزهو :

ـ كُنت مُتيقن من طاعتك ليّ وطالما كُنتِ على ذلك القدر من الطاعة والولاء ليّ سوف أصطحبكِ لتزورين أهلك ولكن إن فتحتِ فمُكِ بكلمةً واحدة سوف أقتلهم جميعًا .

رفع صوته مُناديًا لزوجته (جان) التي حضرت مُسرعةً فطلب منها تجهيزي للخروج معه ، ارتديت ملابس أعطتها لي جان واتجهنا بسيارته إلى منزلي ، تقدمتُ إلى باب منزلي وأنا أعلم أنِ لو تفوهت بكلمة سوف يُقتل كُل من أُحبه ، أي جحيمٌ توضع فيه لتقف بين خيار النجاة من العذاب بصرُاخك طالبًا النجدة من الجحيم وبين تهديدٌ بالقتل لكُل من أحببتهم يومًا إن صرخت سائلاً النجدة ، كان خيار تضحيتي بنفسي أقرب لي من أن أفقد أبوي أمام عيني ، طرق الباب ففتح لهُ والد وأنا أتابع من موقعي بالسيارة حديثهم ، تحدث إلى والدي فور أن فتح لهُ الباب :

ـ أنا كاميرون هوكر خطيب كولين ابنتكم ، لقد أقنعتها أن تزوركم بعد أن رحلت عنكم فهل تُريد رؤيتها .

تهللت أسارير والدي وأجابه بشغف لرؤيتي :

ـ بالتأكيد يا سيد كاميرون أين هي ؟ .

((أحداث حقيقية))

أشار إليّ فهبطتُ من السيارة واقتربت من والدي الذي احتضنني دون أي رد فعلٌ مني ، كُنت كعروس ماريونت لا انطق أو أتحرك حتى يُحرك خيوط التحكم بي هذا الشيطان ، انتهى اليوم وطلب منهم أن نحصُل على صورة مجمعة كعائلة لنضعها بمنزلنا! ، هذا الشيطان سادي الطباع في كُل شيئًا ، عُدنا للمنزل وتبدل الحال واختلفت المعاملة كثيرًا ، كنت أخرج من تابوتي لأرعى ابنتهم وهم بالعمل وأقوم بتنظيف المنزل حتى يعود فيأخُذ مراده من تعذيبي واغتصابي فأعود لتابوتي ليبدأ يومًا جديدًا من أيام الجحيم ، كان أكثر ما يدفعني للتأكد بأن هذا الرجُل مجنونًا بالكامل انه كان يؤكد ليّ أنهُ يُحبني وهو يغتصبني ويعُذبني ، لم أفهم يومًا كيف لشخصٌ يحُب أحدهم أن يتمكن من إيذائه بهذا القدر، مرت الآن قرابة سبع أعوام حتى دلف (كاميرون) للمنزل وجمعني مع جان وأفصح لنا أنهُ يُخطط لاختطاف فتاةً جديدة وعلينا مُساعدته ، وأنهُ فور أن ينتهي من إحكام خُطته سوف يُعلمنا بها ، في صباح اليوم التالي فتحت (جان) عليّ التابوت ، سلمتني ملابس أرتديها وخرجنا من المنزل ، في الطريق أعلمتني أننا ذاهبتان للشرطة نُبلغ عن هذا الشيطان وأنها استطاعت أن تُشفى من حالة السيطرة التي يفرضها علينا ، اقتربنا من مركز الشرطة، اجتاحني الفزع والخوف ، اندفعت في ركضٍ إلى داخل مركز الشرطة ، وأنا أصرُخ في جنون :

ــ النجدة ، لا تُعيدوني إليه أرجوكم .

اندفع الضباط حولنا يجاهدون في طمأنتِ ووقف دموعي .

((أحداث حقيقية))

اصطحبونا إلى أحدى المكاتب وتجمع حولنا خمس ضباط ، يستمعون قصتنا فأعلمناهم بكامل الأمر وفجرت (جان) مُفاجأةً بأن (كاميرون) قد اختطف فتاةً قبلي واغتصبها وقتلها واسمُها ماري إليزابيث سبانهيك؛ لن أنسى نظرات الشرطي ودموعه التي هربت من عينيه لهول قصتي ، ولا جملته ليّ وهو يتوعد:

ــ لن أترك هذا الشيطان ولو كان بأخر الأرض حتى أضعهُ بيدي في السجن .

تحركت السُلطات وتم اعتقال (كاميرون) وضبط كل أدوات التعذيب والتابوت الذي عشت بداخل أظلم سبع أعوام بحياتي ، وحُكم عليه بالسجن لمُدة مئة وأربع أعوام غير قابلةً لأي إطلاق سراح ، وتم تبرئة (جان) بعد أن تأكدوا من تعرضها لغسيل المُخ مثلي ؛ وها قد أطلقوا سراحيّ من المستشفى يا أبيّ ؛ لكن هل تظن أنِ قد شُفيت حقًا ؟! ....

****

تمت

٢

نكانكا سحر الدم

"نكانكا هو أحد أخبث وأفتك أنواع السحرُ الأسود فشيطانُه لا يشبع دمًا ولا قرابينَ بشرية؛ ولتُستحضرَ شيطانُه عليك أن تكن مولودًا في قعرِ الجحيمِ"

باranormal_باسم زكي

((أحداث حقيقية))

..السانتيريا، البالو ..

..مزرعة الموت ..

..مارك كلروي..

..كونستانزو..

صَعقني هولَ الحصارِ المُحكمِ حولي، هؤلاء الفاسدون كيف لهم أن يَتجرّؤا على مهاجمتِي ، أي شيطانٍ مَلعونٍ مِن الكبارِ قادهم إليّ ليُحاصروني بتلك الأعدادِ الغفيرةِ ، الشوارع تَعُج بهؤلاءِ العبيد على امتدادِ نَظراتِي المسروقةِ مِن بين ثنايا النافذة، جَيشٌ مِن الصراصيرِ يَحتشدُ زاحفًا تجاه قطعةِ خُبزٍ ، فأي شيطانٍ يُمكنه تَحريك هذا الجَيشُ ضدي وأنا مالك تلك الأرضُ وسيدها ، اللعنة عليهم وعلى الجميع مَن عساه يكون المُحرك لتلك الحشودِ الباحثةِ عن رأسي ؟! ، لم يتقبلْ عقلي مُطلقًا أن تَتحرك تلك الحشودُ لقتلِ شخصٍ واحدٍ ، كُل يومٍ يُقتلُ العشراتُ دون أن يَنتبه أحدًا أو يَشعُر بالضيقِ حتى ! ، أ كُل ذلك لأن هذا الشاب (مارك كلروي) أمريكي الجنسية ؟! ، قادتني الدهشةِ مِن الضغطِ لَمعرفةِ أسرارِ اختفائه للبحثِ خلفه فلم أكتشفْ أنه وزيرٌ أو ثريٌ فلم يكنْ سوى شابًا بسيطًا يَدرسُ بجامعةِ (تكساس) أتى إلى المكسيكِ لقضاءِ إجازةِ هنا بصحبةِ صديقين ليستمتعا فيها بمُخدراتنا وخُمورنا وعَاهراتنا فلما كل تلك الضجةُ

((أحداث حقيقية))

إذًا؟! ، انتفضتْ أمريكا لَقتلَ مُواطِنها وأصرت على معرفةِ سر اختفاء هذا الشابُ وضغطتْ بكل قوةِ على الشرطةِ هنا، كان الجميعُ يَعلمُ فسادَ شُرطتنا وحتى أمريكا ولذلك ضغطتْ بكل قوةٍ فما كان مِن هؤلاء الشياطين إلا كَشفي وتَسليم رأسي للنجاةِ برؤوسهم ، اللعنة على أمريكا وعلى مُواطنيها أو لست واحدًا مِنهم لِم لَم تَنتفضْ مِن أجليّ حينما اغتالوني مئات المراتِ طُوال حياتي حتى هاجرَتْ إلى المكسيك لتكن نِهايتي بضغوطِهم ، يَضغطون بحجةِ أن القتيلَ مُواطِنهم و له الحمايةِ خارجِ وطنه ومَن يَحمي الأمريكيين داخل وطنهم ؟! ، الجميعُ يَكذبُ في هذا العالمُ على شعبه وحتى على نفسِه ، اللعنة على أمريكا والمكسيك بل اللعنة على هذا الكونُ بأكملِه، انتزعني مِن حالتي تلك الهرجُ الذي أصاب الشرطيين بالأسفلِ لسقوطِ أحدُهم مُصابًا برصاصةِ أطلقها مَعشوقي (مارتن) ليُجنَ جُنونهم أصبح إطلاقُهم النيران جنونيًا بلا توقفْ ، ما الحل وكيف ليّ الخروج مِن هذا المَوقفُ المختنقُ والهربُ من هذا الحصارُ لشقَتي ، كُل جَيشي الآن هو (مارتن) ومعشوقتي (سارا الدريت) واثنين مِن أتباعي ، لا قدرةَ لنا على المواجهِة ولا الهربَ فأين المخرج ؟،أدرُتْ مُحرك ذَاكرتي المُتوقف عن العملِ لأعوامٍ فنَفض غُبارَ الذكرياتِ التعيسةِ في وجهي ليختنقْ بها صدري ، عُدتْ قديمًا لجلَساتي مَع أُمي وأنا طفلٌ صغيرًا وهي تَهبُني المعرفةِ المقدسةِ لقواعدِ وأصول ديانتنا (السانتيريا) ، علمتني قوةَ الدماءِ والكلماتِ القديمةِ وقدرة الشياطين المقدسةِ فصرتْ أعبدهم معها ، تَملك عِشق السحرِ والقوةِ كياني فقادتني لإكتشاف عقيدةِ (الفودو)

((أحداث حقيقية))

فهي تُشبه السانتيريا في تقديمِ القرابين من دماءٍ وأعضاء الحيواناتِ و الطُقوس المُقدسة في الظلامِ وتَقطير الدماءُ البشريةِ منا لتقويةِ الطلاسمِ ودَفعها للأمامِ ، أذكُر سعادةَ أمي واحتضانها لي يوم نجاح أولى تجاربي السحريةِ لإصابةِ (دانيال) هذا المُتغطرسُ الذي يَسكنُ في المنزلِ المُجاورِ لنا ، كان دائمَ لإنتقادِ أمي واتهامها بالكفرِ ، حتى قررَتُ إصابتَه بأحدِ أفتك الأمراض ، تَسللتُ لمنزلِه وسَرقتُ قطعة من ملابسهِ وأحكمتُ جلسةَ الظلامِ التحضيرية ليلاً وقدمتُ التضحية خنزيرًا صغيرًا من مزرعتِه كان دائمَ الولع به ، دفنتُ السكين بقلب الخنزير وتركته ينزف ويركُل بجنونٍ لاقتلاع رَوحه وأنا أجرحُ يدي وأعقدُ الطلاسم على نيران الفودو المقدسة وأحرقُ ملابسَ دانيال أمام أعيُن أمي ، فما أن حَل الصباحُ إلا وأُصيب دانيال بالمرضِ حتى هلكَ! ،فور أن عَلمتْ أمي اندفعتْ تحتضنني بقوةٍ وهي تَنظرُ ليّ بفخرٍ وأردفتْ:

ــ ادولفو كونستانزو ، أنا فخورةٌ بك وبقوتِك وبإخلاصِك ورضاء آلهتنا عنك ، تذكر دائمًا من أنتَ ولا تُحدْ عن طريقِهم فتُصبك لعنتهم فغضبُ الآلهةٌ مُدمرًا وهم سيتكفلون بوضعِك على رأسِ البشرِ؛ فتَقدم ولا تَتوقف أبدًا.

فما بلغتُ الرابعة عشر من عُمري حتى انضممتُ لمُلهمي وقائِدي لعقيدةِ (البالو) وكان كاهنُها عظيمًا فاحشَ الثراءِ ، وكان أشهرَ تُجارِ المُخدراتِ في (هافانا) و علمني أقدسَ حكمة يوم عَمدني عَبده وتلميذه وهو يضع يدَه على رأسي وأنا راكعًا على رُكبتي أمامَه قائلاً:

((أحداث حقيقية))

ــ دَع غير المؤمنين بعقيدتنا يَقتُلون أنفسهم بالُمخدراتِ .. سنربحُ من غبائِهم.

كانتْ حكمتُه تلك هي حجر الزاويةِ بداخلي ، كل من لا يؤمنْ بعقيدتي وآلهتي وأفكاري هالكًا لا محالة ، قضيتُ مراهقتي وأنا على تعاليمِ آلهتي أنتقل مِن عشقِ فتاة لعِشقِ شاب ، حتى انتقلتُ إلى المكسيك بعد أن رفضني هذا المجتمعَ الأمريكي المريض ، اجتمع حولي بالمكسيك العديدِ من الشبابِ الذين أمنوا بي وبآلهتي ومُعتقداتي فكُنتُ قائدَهم و رسولَهم ، كان الجميعُ يُذهلُ مِن قُدراتي الكبيرةِ على معرفةِ الغيبِ واكتشافِ المجهولِ والتلاعبِ بأوراقِ (التاروت) ، بدأ الأمرُ يتطور سريعًا حينما طَلب مني أحد تجارِ المخدراتِ الصغارِ وهو عضوًا في عصابةِ كبيرةِ ، حِمايته بالسحرِ من أعيُن الشرطة في مَهمةِ تَسليم مُخدرات ففعلتْ ، كان يَسيرُ أمام الشرطةِ دون أن يَنتبهوا له فأنهى مَهمته وعاد لي صارخًا بعظمتي راكعًا تحت أقدامي ، اشتهرتْ القصةُ واشتعلت أرجاء مكسيكو سيتي بعظمة وقدرة (كونستانزو) ، كل يومًا كُنتُ أُصبح أقوى فيهِ من ذي قبل وتتزداد طلباتي فتزداد طلباتُ الشياطين فأرفعُ التكاليفَ ، حتى أتى ليّ رئيس إحدى العصابات وطَلب الحمايةَ السحريةِ الكاملةِ له ولرجالِه لثلاثِ سنواتِ مُقابل أربعون ألف دولار! ، حسنًا فأنا أحتاجُ هذا المبلغ لحياتي ولتكاليفِ أهم وأقوى أسحار الأرضِ وهو وعاء (نكانكا) ولم يكنْ هذا المبلغَ رَغمَ ضخامته سوى البدايةِ فقط لما هو قادمَ ، شَرعتُ في صناعةِ وعاءِ (نكانكا) المقدسِ وهو وعاءَ كبير من المعدنِ يَجب أن يُلامسَ تُربةَ الأرضِ ليستمدَ القوةَ منها ويكون قاعدة

((أحداث حقيقية))

انطلاق لشياطين جوفِ الأرضِ وبوابتهم لتنفيذ طلباتي ، قَدمتُ إليه أغلى القرابين من العقاربِ السوداءِ الحيةِ والحية المقدسةِ و العناكبِ آكلة اللحمَ والدمَ ، أطعمتُه بالقرابين البشريةِ لبعض المشردين و رجال العصاباتِ ، فكُنتُ اقتلع عظامهم وانزع عنها اللحمِ البشري القذرِ واقدمها للوعاء بدماءِ القربان الطازج ، وأمخاخهم التي اقتلعتُها من رؤوسهم و قُلوبهم التي انتزعها مِن صُدورهم فأطبخها وأقدمها هديةً لتقوية السحر ،واضيف بعض السمومِ الخبيثةِ ورُؤوس الحيواناتِ و جثثِ القططِ السوداءِ حتى لا يُقاومْ سحري أبدًا؛ ارتفع اسمي وارتقى كالنجوم فصرتُ نَجمًا يتلألأُ في سماءِ عالمِ المخدراتِ في المكسيكِ و بلغتُ سطوتي حد التجبُر والرهبة مني حد الموت من الصدمةِ لرؤيةِ غضبي؛ حتى سَعتْ إلى صداقتي عائلة (كلازادا) وهي عائلة أقوى وأثرى كارتل مخدرات بالمكسيك ، أمنتُ لهم الحمايةِ لتجارتهم بسحرِ النكانكا ، حتى زادَ فُحش ثَرائهم فقررتُ إني يَجب أن اشاركهم أرباحهم فأنا مَن يَجلبُ لهم الربحِ ويُؤمنهم وهم لا تتسخْ أيديهم في قصورِهم ، تَقدمتُ إلى الإجتماعِ معهم على الطاولةِ الضخمةِ يواجهني (كلازادا) الجلوس على طرف الطاولة وعلى يَميني ويُساريّ العشرات مِن كبارِ عائلتِه ، نظر ليّ في وُدُّ بالغ وسألني:

ــ ما الأمر (كونستانزو) ولمَّ طَلبتْ الإجتماعَ بنا ؟! ، هل تحتاج مالاً أو ضحيةً بشريةً لأسحارِك ؟. !

نظرتُ له بقوة وعُدتُ بظهري للخلف وأردفتُ في ثباتِ:

ــ بل طلبتْ الإجتماع لأُعلمك إنِ أريدَ عشرين في المائةِ من الأرباحِ عن كلِ عمليةِ مُخدراتِ جديدة تَقومُ بها معي ، فلن اقبل أن احيا على الفُتاتِ المُتساقطِ من موائدِكم وأنا سيدُكم و صاحبُ الفضلِ الأعظمِ فيما تأكلون.

انتفض جميعهُم واقفين دون أن اتحرك من جلستي وانفجر كلازادا في وجهي غضبًا بحديثِه قائلاً:

ــ من أنت لتتجرأ وأن تقولَ ما قولتْ فما أنت سوى حشرة أسحقُها بحذائي ، فكيف تَدعي سيادتك عليّ وعلى عائلتي ، اخرج قبل أن يُجن جُنوني أكثر فأقتُلك.

نهضتُ في ثباتِ وقوةِ وتحركتُ تِجاه الباب واستدرت لهم باسمًا قبل رحيلي وأردفتُ:

ــ طالبتك بحصةِ فكان لك أن تقبلَ أو ترفُضَ، أما إهانتي فإنِ لا اقبلها ولا املك حق رفض التغاضي عنها، فكما طلبتْ أنت رفضت أن أحصُل على حصة فلتعلم أني سأملك كل ما هو مِلكُك؛ فقط تذكرأنك من طلب ذلك. !

اندفعتُ عائدًا لوعاءِ النكانكا و الحقدِ والغضبِ يملئُني ، كيف يتجرأ هذا الحثالةُ البشريةِ على إهانتي بهذا الشكل ، أحكمت التدبير فورًا و انتهيت في تلك الليلةَ مِن القُربان البشري الأول وكان أحد أعضاء الحماية حول عائلة (كلازادا) لتُلهمني الشياطين الفكرة ، خَططتُ مع رجالي واختطفوهم من أسرتهم بعد أن وفرتُ لهم الحمايةِ السحريةِ ، و تلذذتُ بتعذيب هذا الفسل المدعو كلازادا أمام وعاءِ نكانكا وأن

((أحداث حقيقية))

اقدمَ الطقوسَ ، ركع مُقيدًا أمامي مُكمم الفمُ يقع تحت بَراثنِ رجالي ، نَظرتُ لعينيه مُباشرةً وشعُرتُ بالقوةِ حينما رأيت الإنكسار فيها يترجاني العفو ، ألم اخبر هذا اللعون أني لا أملكْ حق المغفرة ، أخرجتُ سكيني وقطعت أُذنيه فصار ينتفضُ في جنونٍ وألمٍ لا يوصفْ ، شَرعتُ في طقوسي وهو يُغتصب من رجالي خلفي و أنا أستدير إليه بين الفينة والأخرى اقتطع جزءً صغيرًا من لحمهِ القذر وأضغط على جروحِه لتنزفَ الدمَ فأعود لتقديمِه ل(نكانكا) حتى أتى موعد القُربان الأعظمَ ، جَلب أحد رجالي وعاء الطهي ، فشققتُ صدرَه وانتزعَتُ قلبهِ وقدمَتُه للطهي ثم هشمَتُ جُمجمته بالمطرقةِ واقتلعَتُ عينيه و مُخه اللزج ليلحق بالطهي مع القلبِ وقدمَتُهم مع ما بقي من دمائِه إلى (نكانكا) ومن بعدِه ابنه و ابن شقيقه وابنته ، اصدرتُ الأمرَ لإلقاءِ جُثثهم بالنهرِ لتكتشفهم الشرطة بعد ثلاثة أيامٍ ، قليلاً من المالِ دفعني ادير الشرطةَ في تلك المدينة الفاسدة ، بل من كان يُعارضني منهم كان مصيرَه وعاء (نكانكا) ، استمر الأمر ونجحتْ الخطةَ والتدبيرَ ووضعتُ يدي على كُل أملاك (كلازادا) فصرتْ أكثرَ أهل المدينةِ ثراءً حد الفُحش و أمستْ المدينة بأكملها مِلكٍ و تَركعُ تحت أقدامي وبين يدي، حتى تلك الليلة التي كُنتُ بها في الملهى الليلي فسحرتني تلك الفاتنة بجمالِها وهي تَجلسُ لجوارِ أحد تُجارِ المخدراتِ ، تَقدمتُ ناحيتهم فنهضوا لقدومي ورجالي خلفي ، رحبتُ بهم وطالبني الشابُ بالجلوسِ ، وكانتْ تلك هي الليلة الأولى لنا التي التقي فيها ب (سارا الدريت) ، اقتربنا كثيرًا في حديثنا من بعضنا ، اكتشفت أنها تَدرُس

((أحداث حقيقية))

بجامعة أمريكية وأنها على قدرٍ كبير من الثقافةِ ، انتهتْ الليلة بالملهى ولم تنتهِ ليّ ولها ، فور أن تَركَها الشابُ الذي كانت بصحبته أمام منزلها ، كان أحدُ رجالي ينتظرها بالأعلى على بابِ شقتِها يُبلغها رغبتي في لقاءها ، فقبلت واحضرها إلى شقتي فور أن دَلفت للداخلِ كنتُ اُمسك كأس خمري وانظر من أعلى للمدينة تحتِ فعاجلتني بحديثها:

ــ ظننتُ أنِ لم أُعجبك لانسحابك فجأة من سهرتنا.

استدرت أواجهها مُبتسمًا وأردفت بثباتٍ:

ــ بل انسحبت لأنِ أحببتُك.

أصابها الذهول من حديثي وأذهلها أكثر اندفاعي لها أُقبلها وأحتضنها بين ذراعيّ ، ولدتْ علاقتي بها مُنذُ تلك الليلة ، فتحتُ لها الباب السري على عالمي السحري فشَدهها واندمجت فيه سريعًا ، استهوتها طقوسي وعبادتي وشاركتني فيها بقوة وحماسٍ بالغ حتى أطلقتُ عليها (العرابة) ، تطور الأمر بشكلٍ أكبر بعد حماسها ومشاركتها معي طقوس (نكانكا) واشتراكها في تقديمِ القَرابين البشرية وتعذيبهم إرضاءً لآلهتنا ، أذكُر يوم أطلقتُ عليها العرابةِ وذلك لتقديمها القُربان الأول لها وهو عشيقها السابق وكم كانتُ مُلهمةَ وهي تَقتلع عينيه وأذنيه حيًا وهو يجأر من الألمِ ، واقتلاعها قلبَه ومُخه ، لقد رَضيتْ عنها الشياطين فرضيتُ عنها تمامٍ الرضا لتُشارِك

بارانورمال_باسم زكي

((أحداث حقيقية))

(مارتن) مَعشوقي في قلبي ، نَقلنا وعاءَ (نكانكا) إلى كوخٍ بمزرعةٍ على أطرافِ المدينةِ بقريةٍ نائيةٍ ، واشتعل هنالك العِشقَ للدماءِ وكأن (نكانكا) وجد ضالته ، تعددتْ القرابينُ واختلفتْ ، حتى ذلك اليوم الذي احتجتُ فيه قُربانٍ بشريٍ ثمينٍ ، فأنا اُطلق أكبرَ شُحنة مخدرات للولايات المتحدة الأمريكية ويجب أن يكون القُربان قوي ، خرجت أصرُخ في رجالي حتى عادوا بذلك الشابُ الأبيض الأمريكي المدعو (مارك كلروي) أسرعت سارا و مارتن ورجالي في تجهيزه وتقطيعه واغتصابه و تقديم مُخه وقَلبه ومُقلتيه وأعضائِه التناسليةِ لنكانكا ومرتْ الشُحنة بسلامٍ! ؛ لم أكن اتخيل أن تَحدُث كل تلك الضجة من أجل هذا القُربان التعس ، لقد خطف رجالي العشرات دون أن ينتبه أحد! ، علمتُ أن الشرطة سَتداهم المزرعة فتخفيت في شقتي تلك وعلمتُ أنهم اكتشفوا وعاء ال (نكانكا) والمقبرةِ السريةِ لجوارهِ وأخرجوا ستة عشر جُثةً فقط! ، كانت بهم جُثة ذلك اللعين كلروي؛ وها هم يُحاصرونني ولا أمل ليّ بالهرب ولن أسمح لهم إذلاليّ فما الحل؟! ؛ تذكرت كلِمات أمي يجب أن أتقدم وأتحرر من جسدي لأنعم لجوار آلهتي بالحصانة ، صرختُ في الحارسِ أن يقتُلني أنا و (مارتن) فلا طاقة ليّ للحياةِ بدونه ، نظر ليَّ الحارس واردف في خوفٍ:

ــ لا يُمكنني سيدي.

صفعَتُه بقوةِ على وجهِه واردفتُ في قوةِ:

ــ لو لم تفعلْ لسوف تُخلد في الجحيم.

((أحداث حقيقية))

أطلقَ الحارسُ الرصاصَ علينا فلم تُنر عيوني على الجنةِ الموعودةِ ولم أنعمْ لجوارِ آلهتي ، ما الأمر لما تلك الظُلمة الموحشةِ والأصواتِ المرعبةِ والروائحِ القذرةِ ، صرتُ أصرُخ ولا مُجيب:

ـ أنا كونستانزو أنا المُخلص لآلهته ، أنا مُقدمُ القرابينِ والناسِك في محرابكم الداميّ ، لمَّ لا يُجبني أحد؟! ؛ هل اضعت طريقي في الجحيمِ أم أنا من ضيع ذاته ؟. !

"اقتحمت الشرطة الشقة وعثرت على جثة كونستانزو و مارتن وتم القبض على (سارا الدريت) وجميع أتباعه وسُجن الجميع وكان حُكم سارا هو السَجن اثنان وستون عامٌ ، لكنها لم تستطع الإجابة يومًا على سؤالٍ واحدٍا وُجه لها وهو: ما الذي يَدفعُ فتاةَ مُثقفة وجميلة مِثلك لعالمٍ من الجريمةِ والدمِ ؟! ؛ لم تتمكن من أن تُجيبهم بأن النفسَ البشريةِ أكثر ظلامًا من أخبثِ أنواع السحرِ على الأرضِ فهي تهوى المال و الجنس والحب بل تهوى الدنيا وقد أهلكتها الدنيا التي ارادتها" .

****

تمت

٣

خنازيرُ قاتلة

"حينما تَغيبُ الإنسانيةُ و يُمْسِيَ التعذيبُ والقتلُ لذةً ومتعةً!؛تيقن إنكَ بالغابةِ وإنكَ تُقابلُ أفتكَ ضواريها وأكثرهُم شرًا و عَليكَ الركضِ هربًا "

.. الضحيةُ رقمُ ٥٠..

.. الناجيةُ الأخيرةِ ..

.. قصرُ الخنازيرِ ..

.. أحمرُ شِفاه ..

اقتربَ مِني بهدوءٍ وابتسامته الصافيةِ تَملئُ وجهَه ، أنيقٌ للغايةِ يَبدو عليهِ الثراءِ ، طلبَ مِنيّ الإذنِ بالجلوسِ مَعي وأن نَتناولَ عشاءنا سويًا ، فرَحبَتُ بهِ واشَّارَتُ له بالجلوسِ فما أن جَلسَ حتى نَظرَ إليّ واردفَ في بسمةٍ جميلةٍ :

ــ روبرت بيكتون؛ وأنتِ ؟ .

صَعقَني اسمَه حتى سَقطَتْ مِن فمي رَشفاتِ النبيذِ وسألَتْه في ذهولٍ :

ــ روبرت بيكتون مَالِكَ مَزرعةِ (قصرُ الخنازيرِ) ؟! .

أعَطاني مِنديلاً وأجَابَني :

((أحداث حقيقية))

ـ نعم أنا هو ، ومَزرعَتْي تُرحبُ بكِ في أي وقتٍ تُريدين قضاءَ ليلةٍ دافئةٍ و تَحصُلين فيها على أنقى أنواعِ الكُوكَايين و الُماريجَوانا، حينما يُناسبُكَ الوقتَ تَعلمين مَكانَ مَزرعَتْي بالتأكيدِ .

أنهىَ كَلِماتُه وأنصرفَ بهدوءٍ بعد أن تَركَ على الطاولةِ تكاليفِ الطعامِ الذي لم يَأتِ بَعد و ما يَكفِ لسدادِ حِسابي بالكاملِ و يَزيدُ عن دخلِيِّ اليوميِّ الضعفِ! ، إنه حقًا رجُلٌ كريمٌ ولطيفٌ! ؛ نَهضَتُ فورَ رَحيلِه وأخذَتُ المالَ واتجهَتُ إلى (جاك) عاملِ البارِ وسَددَتُ له الحسابِ ، فنَظرَ ليّ وأردفَ في قلقٍ حقيقي :

ـ ماري؛ رجاءً خُذيّ حَذَركَ واذهبْيّ للمنزلِ دون أن تَتجهيّ لأي مَكانٍ مَجهولٍ ، أنتِ تَعلمين أن الكثيرَ مِن الفتياتِ اختفْين ولم يَهتَمْ أحدٌ لاختفائهم ولا حتى الشرطةً، رجاءً انتبهي لنفسِك .

نَظرَتُ له وأجبَتُه ساخرةً :

ـ وهل كُنتْ تَنتظِرُ أن يَهتمَ أحدٌ لاختفاءِ عَشراتِ العَاهراتِ أو حتى المئاتِ مِن أهلِ مَدينَتِنَا أو حتى مِن الشرطةِ؟! ؛ ومَن برأيكَ أوصلَني واوصلَ هؤلاء الفتياتُ لبَيعِ أجَسادِنَا لبحارٍ رَستَ سَفينَتُه في ميناءِ المدينةِ، أو سائحٍ مُتعَطِشٍ ضَّلَ طريقَه إلى إحدِنَا فنَهلَ مِن جَسدِها ومَضى،أو مُوظفًا يَشعرُ بالوحدِة مِن الكثيرين الذين يَعملون بالشركاتِ التي تَعْجُ بها (فانكوفر)، أو مُزارعٍ اشتاقَ للحمِ الطريِّ بعدَ كثرةِ مُعاشرتِه

لحيوانَاتِه، أم شرطةُ المدينةِ التي لا تَهْتَمْ سوى لتَأمِينِ السُياحِ و الشَّركاتِ والمِيناءِ بالمَدينةِ؛ يا صَديقي نَحنُ أهونُ على الجميعِ مِن الغبارِ الناتجِ عن عَجلاتِ سَيارتهم في رحلةِ البحثِ عن إحدانا ، هم لا يَرونَا بلِ الأدقِ أنَنا غيرِ موجودين بالنِسبَةِ للجَميعِ فنَحنُ المنسيون يا عزيزي؛ على كلِ الأحوالِ أشّكركَ يا جاك وأعلمَ أنَ لكَ قلبٍ لم يَتلوثْ مِثلَهُم فلا تَقلقْ سأذهبُ إلى المنزلِ مُباشرةٍ .

تَحركْتُ في رحلتِي الدائمةِ أتَشَّمَمُ هواءَ تلكَ المَدينةِ المُسممِ بدخانِ الحقدِ والكراهيةِ ، اليومُ قد نَجوتُ مِن بيعِ جَسدي لِما قَدمْه ليّ هذا الرجلُ الكريمِ مِن مالٍ ولكنْ غدًا ماذا عليّ أن أفعلَ ، مِن أين أسددُ ثَمنَ مَعيشَتي وأجدَ ثَمنَ الكوكايين الذي أدَمنتُه مُنذُ أعوامٍ ؟! ، لن يَفْهَمْ أحدًا ما أشعُرْ به بعد انتهاءِ يَومِيّ، الجميعُ يَنظرُ ليّ على أنِ مَطيةَ و مَن يَهتمُ قد يَسألُ عن سببِ دخولي لهذا العالمُ البشعُ ومهما تَعددَتْ الأسبابُ لن يَتقبلَها عقلَ سائليِّ ودومًا سَيضعُ نفسَه وَضعَ المُنَاظِرُ الفَاهمُ والفَيلسُوفُ العالمِ و يَرسمُ طُرقًا لم تُخْلَقْ أساسًا لو أنِ أتخذَتُها لما انحَرفْ مَسارِي! ؛ دَومًا ما أتمنَ أن أصرُخَ في هؤلاءِ الفلاسفةِ المُنَاظِرين واخبرُهم دَع المَاضِي والسببَ فيهِ وأرَسُم ليِّ طَريقًا أسَيرُ بهِ ولكن جَميعَهم فورَ خَلعَ مَلابِسي يَنْسُون الفَلسفَةَ والقِيمَ والتَنَظِيرَ ويَنْشَّغلون بغَرائزِهم الحيوانيةِ! ، ما فائدةَ وجُودي في هذا الكونُ وكثيرًا مِن أشباهِي وأمسوا يَخْتَفون دونَ أن يَنتبَه لهم أحدٍ؟! ، الحقُ أن الموتَ هو راحةٌ لنا و للجَميعِ فنَحنُ النقطةُ السوداءِ في ثوبِ مُجتمعِنَا المُلَطخِ بدماءِ العُهْرِ في كلِ جَوانبَه بلا إستثناء إلا أن أعيُنَهم لا ترَ

((أحداث حقيقية))

العُهرَ إلا في بائعاتِ الهوى نَحنُ وَحدنَا مَن يُلطخُ الثوبَ! ، أما مَن يَبيعُ ضَميرَه و مِن لا يَهتمْ بغيرِ نَفسِه و مَن يَقْتلُه جَشَّعَ السُلطَة والمالَ فهو لا يُلطخْ ثوبَ مُجتَمعِنَا ، اللعنةُ عليهِم وعلى مُجتَمعِنَا تَركنَا نَبيعُ لَحمَنَا بأبخسِ ثَمنٍ لنَجمعَ لُقيمَاتٍ لا تُشّبعْ أمَعائُنا الصارخِة جُوعًا و ثَمنَ مَأوى لا يَرقَ لسكنِ حيوانِ لكنهُ يَكفِينَا شرَ الموتِ بردًا و أما ثَمنَ مُخدِراتُنَا التي سَمحَ مُجتَمعَنَا بثوبه الطَاهرِ مُرورِ سُمِها لأجسادِنَا فنَحنُ نُسددُها مِن أجسادِنا ، اندفعَتُ لجُحري في عقارٍ بائسٍ ونمتُ وأنا أحلمُ بالخلاصِ مِن هذا الموتُ البطيء ، في اليومِ التالي لم أحظِ بأي باحثًا عن المتعةِ سوى بحارًا كانتْ تَفوحُ مِنه رائحةِ السَمكِ والعُفونِة ، ضَخمُ البنيانِ ما أن فَرغَ مِني حتى تَركَني ورَحلَ وحينما طَلبْتُ مِنه ثَمنِ جسدي ، سددَ ليّ لكمةٍ نَزفَ مِن قُوتِها فَمي وأنا أتكومُ أرضًا أسفلِ أقدامِه وأردفَ في سُخريةٍّ وهو يَضحكُ بإستفزارٍ :

ــ اذهبي إلى الشرطةِ واشْتَكِيني إليهم ، واطلبْيّ ثَمنَ جَسدِكَ إن كان القانونُ يَحمي العاهراتِ! .

انصرفَ ولم تَنصرفْ مع كلِماتِه ألامي وبُكائي ، أي قانونٍ يَحمي العاهراتِ وهل لو كان هُناك قَانونًا كان يَتركُنَا نَبيعُ أجسادَنَا لكلِ حيوانٍ يَنهشُ مِنه قطعةٍ ويَمضِي؟! ، نَهضتُ بصعوبةٍ وعُودتُ إلى جُحْري أستَجمعُ قواي حتى تَذكرَتُه فبرقَ الأملُ في رأسي ، إنه رجُلٌ كريمٌ ولطيفٌ وهو مِن أثرياءِ المدينةِ وبالتأكيدِ سوف يُوفرُ ليّ مَسكنً ومأكلَ وقد يُحبُني و تَنتهِي مُعاناتِي ، أعددَتُ نفسِي جيدًا وارتديتُ أفضلَ ثيابي وتَزينتُ

((أحداث حقيقية))

بأفضلِ ما أملك مِن مساحيقِ التجميلِ واندفعَتُ في طريقي إليه ، اتجهَتُ إلى (قصرِ الخنازيرِ) أشهرُ مَزرعةِ خَنازيرِ بمدينتِنَا ، هي مَزرعةٌ مُتكاملةٌ فهي تَبيعُ اللحومَ للمطاعمِ و المواطنين حتى أصبحَتْ المدينةُ بأسرِها لا تَأكلْ لُحومَها إلا مِنها ، و تَبيعُ العظامَ و الأمعاءَ الخاصةِ بالخنازيرِ إلى مَصانعِ أدواتِ التجميلِ لتَتحولَ إلى أقلامِ شفاهِ و غيرهِ ، وصلَتُ أخيرًا إلى المَزرعةِ الكبيرةِ ودَلفَتُ إلى داخلِ مَتجرِ اللحومِ على الطريقِ فلم أجدْ أحدًا ، لحظاتٌ وظَهرَ وجهُه الباسمَ وهو يَخرُجُ مِن إحدى الثلاجاتِ الخاصةِ بتخزينِ اللحمِ ، اقتربَ مِني مُرحبًا بحرارةِ فورَ رُؤيتي وأردفَ ضاحكًا :

ــ الجميلةُ والوحشُ، تُشبهين القمرَ في ضوئِه وأُشّبه الأرضَ في بؤسِها .

أجبَتُه مُتوددةً :

ــ تَبقى الحياةُ على الأرضِ ، ولا حياةَ على القمرِ .

ابتسمَ وأردفَ :

ــ هل حَضرَتي مِن أجلِ قضاءِ ليلةٍ دافئةٍ أم مِن أجلِ اللحمِ ؟ .

اقتربَتُ مِنه فلاصقَتُه وأردفَتُ هامسةً أبحثُ عن إثارتِه :

ــ بل أتيتُ مِن أجلِكَ أنتَ .

أجابَني دونَ أن يَبدو عليه أي تَغيُرِ :

((أحداث حقيقية))

ـ إذًا فلنَذهبُ للمنزلِ .

تَحركَ عبرَ بابٍ خَلفي فتَبعَتُه ، تَقدمَنَا تِجَاه المَزرعةِ الفسيحةِ ، فكان هناكَ مَباني عِدة حولِنا وظَل يَتقدمُ حتى تَوقفَ أمامَ مَنزلٍ كبيرٍ ، دَلفنَا بداخِله ، انحرفَ يَفتحُ بابً على يَسارِ مَدخلِنَا ، فتَبعَتُه كانتْ غرفةٌ كبيرةً فسيحةً ، بها مدفئةٍ وفراشٍا ، وخزانةِ مَلابسٍ وطَاولةٍ في أخرِها نَافذِة ، أشارَ ليّ بالجُلوسِ على الطاولةِ وأردفَ :

ـ انتَظرِيني سأعودُ حالاً .

أوقدَ نارَ المدفئِة وخَرجَ مِن الغرفةِ ، لم أشعُرْ بمدِة غيابه فلقد أخذَني الدفءَ إلى عالمٍ مِن السحرِ والخيالِ ، تَجرأتُ وسَألتُ نَفسي ماذا إن دَامَتْ حياتِي هنَا ، ماذا لو أنه أحبَني وسَمحَ ليّ بالعملِ في مَزرعتِه نَهارًا وسَمحَ ليّ بالمبيتِ فيها ليلاً ، فلم يَذُقْ جَسدي مِثلَ هذا الدفءُ و تلكَ الراحةُ قبل هذا اليومُ ، عادَ فقَطعَ عليّ أفكَاري ببسمَتْهِ ، وضعَ أمامي على الطاولةِ كميةٍ كبيرةٍ من الكوكايين و صبَ لي كأسِ خَمرٍ ، نَهمَتُ في التَعاطي فكانْ كل شيئًا هنَا يَبدو أنني لم أُجربْه قَبلَ هذا اليومُ ، حتى طَعمَ الخمرِ و الكوكايين لم أنتبْه سوى لرغباتي ، جَاهدَتُ في إثارتِه لأدفعَه لعلاقةٍ مَعي وأنا أعتزمُ أن أجعَلَه لا يَتركني أبدًا بَعدها ولم أكنْ أتخيلُ أنه لم يكن يُريدُ تَركِ مِن البدايةِ! ، ما أن خَلعَتُ مَلابسِي كاملةً حتى قَيدَ يدي بعُنفٍ شديدٍ خلفَ ظهري! ، لم يَدُورْ برأسِي أن يَكون سَاديًا أبدًا مِن غيرِ المُمكنِ أن يَكون صاحبُ تلكَ البسمةِ سَادي! ، دَفعَني للفراشِ وهو يَبتسمُ فطمأنَني ببسمتِه ، وما المانعَ فلقد قَابلَتُ مَن هم أغربُ مِنه مئاتِ

المراتِ ، سَحبَ سِكينَه مِن درجِ الكومودِ ودفنَه في جانبي يُمزقُ لحمَي حتى اخترقَ به عظامِ ضلوعِي ثُم فخذِي حتى وَصلَ لعَظمتِه ثُم كَتفِي! ، صَرخَتُ آلًا ما الذي اصابَ هذا المجنونُ وأنا اتأوه بجنونٍ مِن فرطِ الألمِ ، واستَجديه أن يَتوقفَ فيَزيدُ مِن وخزِ جَسدِي بسكينِه ذي النصلِ البارِدِ وقد اجْتَاحتْني آلافَ الرعداتِ وبُرودةٍ قاتلةٍ بداخلِ جَسدي ، لا أدرِ كَمَ الدموعِ التي ذَرفَتُها ولا الدماءَ ، إلا أني أتذكرُ أن كلَ قطعةٌ بجسدِي كانتْ تَنتفضُ فَزعًا تُحاولُ الركضَ هربًا للنجاةِ مِن الألمِ والخوفِ، صَرخَتُ فيه مُترجيةٍ :

ــ لمَّ تَفعلْ ذلكَ فلقد جِئتُ إليكَ أبحثُ عن النجاةِ لا الهلاكَ؟! .

تَعالَتْ ضَحِكاتُه الساخرةِ وأنا أنزفُ أمامه دمٍ و دمعٍ ، لم أتوقع أن أسمعَ منه ما سَمعْتُ، أخبرَني أن إجابَة سؤالي سوف تَدفعُه لتَذكُرَ أجملَ لحظاتِ حياتِه ولم أفهمْ عن أي جمالٍ يَتحدثُ في حياتِه الدمويةِ تلك! ، تَحركَ تِجاهَ الطاولِة وصَبَ كأسَ خَمرٍ وعادَ ساحبًا كرسي ووضعَه بمُواجَهتي وجَلسَ يَرتشّفُ مِن كأسِه ويَسردُ ليّ يومِه، نَهضَ مِن فراشِه مع خيوطِ النهارِ الأولى كعادتْه واحْتَسى كأسَ خمرهِ بتَلذُذِ وهو يُقبلُ الكأسُ بعد احتساءِ أخرِ قطرةٍ به ، لطالما كان لخمرهِ مذاقٍ ولذةٍ خاصةٍ فهو يَخلطُ الخمرَ بقليلٍ مِن دماءِ ضحاياه ، فقد كان مُقْتَنِع بأن أكلَ لحمُ الضحيةَ وشُربَ دمائُها يَهبُكَ قُوتَها وجَمالَها، هَبطَ مُسرعًا يَتجَه إلى مَفرمِة الأخشابِ وأطعمَها بعض عظامِ ضحاياه لتَطحنَهم تحتَ تُروسِها الحديديةِ ، كان يَتلذذُ ويَنتشي لصوتِ طحنِ العظامِ

((أحداث حقيقية))

ويَتراقصُ كأنما يَستمعْ إلى أروعِ المَعزوفَاتِ المُوسيقيةِ ، كان يَتوقفُ عن الرقصِ بإنقطاعِ صَوتِ تَكسيرُ العظامَ ليعلمَ أن لحنَ الصفاءِ له قد انتَهى! ، حَملَ غُبارَ العِظامِ المطحونةِ واتجَه إلى فضاءِ المَزرعةِ بين مبانيها وراحَ يَنثُرُ غُبارَ الأمواتِ في الهواءِ كعادةِ كل يومٌ ، ألهبَتْ صَدرَه الحماسةِ لليومِ بعد تَنشّقُه الهواءُ المُحملِ بغبارِ الأمواتِ ، اندفعَ تِجاهَ مَبنى التَصنيعِ وفَتحَ إحدى الثّلاجاتِ فإنتشَتْ رُوحَه المَريضةِ برؤيةِ جثثِ ضحاياه المُمزقةِ ، سَحبَ فخذَ إحدى الجثثِ و بدأ يُخْلِيه مِن العظامِ وحَملَ اللحمَ البشري إلى مَاكينةِ فَرمِ اللحومِ ليَفرمَه مع لحمِ خنازيرِه ، أخذَ قدرًا مِن اللحمِ البشري في وعاءٍ واتَجَه إلى براميلِ الشحومِ والأمعاءِ والدماءِ الذي يَختلطُ في مُحتوياتِه البشريةِ أعضاءِ ودماءِ خنازيرِه ليُضيفَ إلى الوعاءِ القليلِ مِن الدماءِ و الشحمِ ، حَملَ وعائَه واندفعَ تِجاهَ حظيرةِ خنازيرِه التي كانتْ تَصرُخُ بشكلٍ غريبٍ وتَصدرُ مِنها روائحِ مُقززةٍ لكنه كان يَسعدُ لرؤيتِهم كأنما لا جمالَ إلا فيهم! ، أخذَ يَفترشُ طاولاتِ طَعامِهم بالعلفِ والقمامةِ المُوجودةِ لكن الخنازيرَ كانتْ تَصرخُ وتَرفضُ الطعامَ ، صَرخَ فيهم وهو يَصبُ مِن وعاءِ خليطِ الدمِ واللحمِ البشري على الطعامِ لهم قائلاً :

ــ أعلمُ إنكم مِثلي لم تَعودوا تَتقبلوا الطَعامَ بلا نكهةِ العاهراتِ ، أقبلوا ها هي نَكهتِكم .

اندفعَتْ الخنازيرُ تَلتهمُ الطعامَ المَخلوطِ باللحمِ البشري ودِمائِه في نهمٍ مُقززٍ ، انتهى مِن إطعامِ خنازيرِه القاتلةِ واتجَه إلى مَصنعِ اللحمِ مِن جديدِ وأخذَ يَخلطُ لحمَ خنازيرِه

باللحمِ البشري و يَعدُه للبيعِ لناسِ، وأخذَ يَعدُ براميلَ الدماءِ والشحمِ والأمعاءِ البشريةِ المَخلوطِة بخنازيرِه يَعدُها للتوجهِ إلى مَصانعِ مُستحضراتِ التجميلِ ليُصنَعَ مِنها أحمرِ الشفاهِ وزينةِ النساءِ الجميلاتِ ، ظَل على عَملِه السعيد لا يُؤرقْه إلا تَأخرُه في قتلِ الضحيةِ الخمسين ، لا يَعلمْ ما السببَ في تَأخرِه لهذا الحدُ ولِمَ تَوقف لكنه كان يَعلمُ أنها ستَأتي عاجلاً أم أجلاً ، حتى خرجَ مِن مَخزنِ المَزرعةِ بعد انتهاءِ يومَ عملِه ليَجدَني أمامَه فأصابَتُه السعادةَ وعَلمَ أن ضَحيتَه الخمسون قد أتَتْ إليه بنفسِها ، انهى حديثَه و صَبَ عليّ جحيمَ عينيه وأردفَ في لهجةٍ كانتْ أقربُ إلى فَحيحِ الحياتِ السامةِ:

ــ أنتِ ومَن على شاكلتِكَ مِن بائعي عَرضِهنْ لا تستحقوا سوى الموتِ ، فلا أستطعْ أن أصفَ لكِ مُتعتِي وأنا أُقُطعُ أوصالَكُم وأحتفظُ بالرؤوسِ و اليدين والأقدامِ بثلاجاتِ المَزرعةِ وكلما ضَاقتْ نَفسِي نَظرَتُ لهم فأنْتَشّي، لا أتمكنْ مِن أن أصفَ لكِ كمَ النشوةِ التي تَملئُني لصَراخِكنْ آلمَ وأنا أتَلذذُ بتعذيبكنْ ، ماذا لو أخبرتُك إنِ أفرُمَ لُحومَكنْ وأخلطُ جزءَ مِنها بلحمِ الخنازيرِ فتَأكلُه الناسُ وأن أتلذذَ كُلما قال لي أحدَهم لُحومكَ لها طعمِ مُميزِ فأتمنى لو أخبرُه إنها نَكهةُ العاهراتِ ، هل أخبرتُك كَم الفخرِ الذي أشعْرُ به وأنا أرى امرأةً جميلةً تَتزينُ بمستحضراتِ تَجميلِ أعلمُ إنها مصنوعةٌ مِن بقاياكم!.

صَرخَتُ فيه وأنا أنزفُ :

ـ أنت رجُلٌ مِجنون.

انفتحَتْ عيناه على اتساعِها وأردفَ في غضبٍ :

ـ وليكُن ولا أُنكرْ ذلك ولكي أثْبتَ لكِ ذلكَ فسوف نَجعلَكِ مُميزةً في موتِك، سأعودُ لكِ سريعًا .

انتهى مِن كلِماتِه و انتفض راحلاً من الغرفة ، كان عليّ أن أعلمَ أن القادمَ سيكون ألعنَ مِن كلِ ما فعلْه ، إن هذا الكائنُ لا ينتمِ لعالمِ البشرِ ولا يَعلمْ شيئًا عن الإنسانيةِ ، وما عليّ الآن إلا الهربِ قبلَ الهلاكِ التامِ ، جَاهدتُ النهوضَ فسَقطَتُ مع أولِ خُطوةٍ ، عَاودَتُ الُمحاولَة مراتٍ فأسيرُ خُطوةً وأسقطُ ولم أتَوقفْ عن المحاولةِ حتى وَصلَتُ بابَ المنزلِ ، بدأتْ أقدامي تَحملُ جَسدي وهو يَنزفُ وعِظامي الُمخترقَة ، انْدفعَتُ أركضُ عاريةً تُلهِبُني سِياطُ الخوفَ مِن الموتِ وأنا اتَخفى بين الأشجارِ طوالِ الطريقِ ، لم اتوقفْ عن الركضِ حتى لاحَ ليّ مَشفىٍ على الطريقِ ، بَدا نُورَها كأخرِ خيُوطِ النورِ بعيني ، كأن نورَ فجرُ النجاةِ والحياةِ يَلوحُ أمامي مِن جديدِ ، هرولَتُ حتى وَصلَتُ لبابِ المَشفى فسَقطُ أمامه وعيني على الأطباءِ وهم يُهرولون تِجاهِي .

أنهيتُ حديثي وأنا أنظرُ لعينِ القاضي الذي كان قد أصابَتُه الصدمَة مِن حديثي ، ولهيئِة الُمحلفين المصدومين مِن هذا الشيطانُ، نَظرَ القاضي إليه وهو جالسًا أمامه ووَجهَ له سؤالاً :

بارانورمال_باسم زكي

((أحداث حقيقية))

ـ الآن وبعد أن قَامَتْ جِهاتِ التحقيقِ بمعاينةِ مَسرحِ الجريمةِ وتمَ التأكُدَ مِن أنك قَتلَتْ ستَ نساءٍ فما هو قولُكَ وردُكَ الأخيرِ هل أنت نادمٌ على ما فعلتْ ؟ .

أومأ برأسِه أسفًا وأجابَه بقوةٍ :

ـ لقد كُنتْ مُتهاونًا بالفعلِ ونَدمي الوحيد أنِ لم أُكملْ عددَ ضحاياي الخمسين فلا أتمنى سوى أن أخرُجَ مِن هنَا لأكملَهم خمسين .

أومأ القاضي أسفًا ونطقَ بأخرِ جملةٍ :

ـ إن الإنسانيةَ أمستْ في خطرٍ والبشرِ أصبحوا أكثرَ خطرًا على أنفسِهم من حيواناتِ الغابةِ وضواريها؛ تَمسكوا بإنسانيتِكم فهي الأملُ الوحيدِ الباقي لنا في النجاةِ .

" حُكمَ على روبرت بيكتون بالسجنِ لخمسةِ وعشرين عامً غير قابلِة للإفراجِ وهي أقصى عُقوبة مُمكنة طبقًا للقانونِ الكندي ، وما تزلْ الشرطةُ تَتحفظُ على مَزرعِة (قصرِ الخنازيرِ) التي تُعدُ أكبرَ مَسرحِ جريمةٍ عَرَفَه العالمَ فكلَ شِبرًا بالمزرعةِ يَعجُ بالرفاتِ البشري، كما عمتْ الثورةُ أهلَ المدينةِ بعد اكتشافِهم أنهم كانوا يَأكلون لحومً مَخلُوطة بلحمِ البشرِ وطالتْ الفضيحة مَصانعِ

مُستحضراتِ التَجميلِ فهل تَخيلَتِ أنكِ تَضعِين أحمرَ شفاهِ صُنعَ مِن دماءٍ وبقايا البشرِ والخنازيرِ. "

****

تمت

٤

بَوابَة هَمَايُون

ثَلاثَةُ رُؤوس مُحْمَرة

" أن تَرَى ثِمَارَ زَرْعِ حَياتكَ قد قُطِعَ مِن أَغْصَانِه وهو في زَهرةِ شَبَابِه لتَأكلَ نَارَ الغَضْبِ قَلْبكَ فتَلكَ هي الحَسْرَة؛ وأما عَجْزِكَ أمَامَ المِقْصَلةِ وهي تَقْطَعُ نَسْلَكَ وأنتَ مُكبلٌ بالقِيودِ فلا طَاقةٌ لكَ لمَنْعِها ولا قُدرةٌ لكَ على الصُراخِ والبُكاءِ فذَلكَ هو القَهرُ؛ وقد حَيَيْتُهم معًا "

.. ثَلاثَة رُؤوس مُحْمَرة ..
.. ثَوَرَةٌ على الظُلمِ ..
.. مَقْبَرة هَمَايُون ..
.. بَوابَة الدِمَاء ..
.. أرضُ رَانقون ..

******

.. مَقبَرة هَمَايُون ..
.. ثورة على الظلم ..

اَسْتَدَرتْ نَاظِرًا لتَلكَ القُبُورُ أُودَعَها فلقد كانتْ خَيرُ أنِيسًا ومُعِينًا يَوم خَارتْ عَزائِمُ الرِجَالَ وضَعُفَتْ الأمَةُ، مُنذُ تولَيتُ المُلكَ و الحَسْرَة تَأكلُ قَلبِي على بِلاديّ ، كيف اَضْمَحلَتْ الأحوالُ ومتى سُمحَ لشِركةٍ أجْنَبِيةٍ أن تَتحكمَ بإرادةِ أُمةٍ ، دَستْ تَلكَ الشَركةُ الإنجليزيةِ سُمَ وَجودِها في بِلادنَا وانْتَشرتْ مِثلَ الخَلايا السَرطَانية تُسِيطرُ على كلِ شَيئًا هنَا حتى أمسى المَلكُ والحُكومَة صُورًا يُحرِكونها بأوامِرهم ، تَسلمَتُ الحُكمَ كمَلك سُورِيّ و عُمْرِيّ يَزِيدُ عن الستِين عامًا ولم يَنْقَطعْ أَمْلِي في تَخْلِيصِ بِلادِي مِن بَراثنِ هذا الوَحشُ الذي قَبعَ على قُلوبِ الأمةِ يَكتمُ أنفَاسَها

((أحداث حقيقية))

ولكن كيف السَبِيلُ وقد مُنِعَتْ كلُ سُلطةٍ تُعِينُني على مُهِمتي ، بل و أصبحَ لتَلكَ الشَركةِ المَلعُونةِ آلافِ الأعْوانِ مِن بني بِلادِنَا يُعِينُونهَا على استَعبَادِ شَعبِهم ، الخْيَانَةُ أمرٌ مَرِيرٍ إلا أنها حِينما تَأتِ مِن بَني وَطنِكَ تَكون مُسممْة بالغَدرِ وغَيرَ قَابلِة للغُفرانِ، لم يُصبني اليَأسَ لكلِ ذَلك كان يَقِيني يُخْبَرني دومًا أن هذا الشَعبُ وتَلكَ الأرضُ لن تَخْضعَ ولن تَركعَ ، وقد صَدقَ يَقِيني وحَدسِي حينما اشتعلَتْ الثَورة واَتْقَدَ الحَماسُ في قِلُوبِ الرِجَالِ غِيرَة على وَطنِهم ، نَهضَتْ الأمةَ مِن تَحتِ بَراثنِ الوَحشِ القَابعِ على أنْفَاسِها تُمزقُ أوصالَه و تَجأرُ بالمُطَالبةِ بحُريتِها ، عَقدَ الثُوارُ عَزائمَهم وقُلوبَهم القْتَالِ فعَمتْ الفَوضَى واَستَعَانَتْ الشَّركةُ بالقُواتِ الإنجليزيةِ لقَمْعَ الثَورَة ضَدهم ، اشتدَ الثُوارُ في هَجماتِهم حتى اَستَهْدَفوا المْدَنِيين فَراسلتُهم بأننَا أصحَابُ حُقوقٌ وثَورتُنَا مِن أجل رَفعَ الظُلمِ فكيف لنَا أن نَظلمَ أبرِياءَ لا ذَنبَ لهِم ونَقْتُلُهم ، أعْلنَ الثُوارُ الجْمهُورية واَخْتَارُوني رَئِيسًا لهم ، اتَحْدَنَا وبدأنَا مُواجهاتِنا ولم تَكنْ المَعركةُ مُتَكَافأة يَومًا بيننَا وبينهم ، خَذلَتْنَا مُعِدَاتُنَا و خَذلَتْنَا الخِيانَة حتى هَربَتْ بأهَلِي واَبْنَائِي ومِن بقِيّ مَعيّ مِن الثُوارِ إلى مَقبرِة (هَمَايُون) نَتْحَصنَ بها فحَصرُنَا وقُتِلَ أَغْلَبنَا وها أنَا أسيرًا مُكبَلاً في الأصفَادِ أُسَاقُ إلى أنْيَابِ وَحشٍ يَجْثُمَ على أنْفَاسِ وَطنِي وشَعْبِي ولا طَاقَة ليّ على مُواجَهتِه، الوَيلُ للأحَرَارِ إن سَاقَهم القدرِ للأسرِ في سُجونِ الخِزّي والعَارِ تَحْرسُهم كِلابُ الخِيانِة، بَدأتْ تَتضحُ أمَامَ عَينِي بَوابةِ من بَوابَاتِ دِلهِيّ التي لم يَكنْ يَفْصلَني عَنها سوى أمتارٍ قَليلةٍ حتى أرها ، لقد ضَعْفُ نَظريّ كَثيرًا وكَذلكَ بَدنيّ وما عَسايّ اَرتَجِي مِن اللهِ فَضلٍ أعظم وأنَا أُسَاقُ إلى حَتفِيّ على يدِ ظَالمٍ جَاهدَتُه بمَالِيّ وسُلَطَانِيّ وابْنَائِيّ و قَدرَ اَستَطَاعتي بجَسدِيّ الضّعْيفِ لرَجلٍ تَخْطَى الثَمَانين ، ما أن تَجاوزَتْ البَوابَة حتى سَمعَتُ صَخبٌ كَبيرًا وبَدَأ الحُراسُ والجنُودُ دَفعِيّ والإسْرَاعِ بُخطواتِنَا، لم أرَ أو أفهمَ سَببَ الصَخبِ

((أحداث حقيقية))

والإسْرَاعِ لكني لا أَعلمُ لِمْا شَعْرَتُ بأن سِكينً غُرسَ بصدرِيّ مُمزقًا قَلبِي!، حتى أني تَحْسَسْتُ صَدرِيّ بكَلتا يَديّ المُقِيدَتين سَائلاً نَفسِي هل أطَلقوا عليّ رُصاصةِ الرَحمةِ؟!، فلم أَجدْ شَيئًا وتَأكدتُ بنفسِي أنهم خُصومٌ فُجَرّ يَتْلَذَذون بإذلالِ خَصْمِهم ولن يَقبلَوا بقتلِيّ في لَحظَاتِ دُونَ نَظراتِ التَشَّفِي، رَفْعَتُ عَينِي للسمَاءِ وسَأَلَتْ اللهَ العَونِ والمَددِ أمَامِهم ولا يُمْلَكُهم مِنيّ ولا يُذْلَنِي على أيديهم وإن حَدثَ فليُعِينُني على الصُمودِ أمامَ جَبروتِهم فأمْنعَهم لذَة شُعورِهم بالنَصرِ و التَشَّفِي في رُؤيتِي ضَعِيفًا مُهَانًا.

****

.. بَوابَةُ الدِمَاءِ ..

اَقْتَرَبَتْ قُواتُ الإحتَلالَ الأنجليزيةِ وهي تَقْبِضُ على آخرِ مُلوكِ الهِندِ وكَاملِ أسْرتُه مِن بوابةِ مَدينةِ (دِلهي) بعدَ أسرَه وقَتلَ أتبَاعَه في مَقبرِة هَمَايُون ، تَمَ تَقْيِيدَ الجَميعَ بالأغلالِ والسَلاسلِ الحَدِيدِيةِ ، أمَر (ريتشارد) وهو الضابطُ الآمرِ للجُنودِ الإنْجليزِ بتَعْطِيلِ مَسِيرَ القُواتِ والتَوقفِ أمامَ بَوابة دِلهي ، وأعْطَى الأمرَ للجْنُودِ بنَقلِ المَلكِ (بهادر شاه) إلى غُرفةِ القْلَعةِ بقَصرِ الحُكمِ كما هو مُعدٌ ، لم يَتفَهمْ أحدً مِن الجنُودِ سَبب تَوقْفِه بباقِي الأسْرى وعَائِلة المَلكِ و لم يَتخِلْ أحدَهم ما سيَحدُثْ ، اَبْتَعدَ مَوكبُ (بهادر شاه) حتى صَارَ على مَرمى نَظرِه فصَرخَ في الجُنودِ بتَركيعِ ابناءِ بهادر شاه على رُكبِهم يَنْظرُون لمَوكبِ رَحيلِ أبيهم وعلى رَأَسِهم ابنَه الأكبر (ميرزا مغل) أمامَ بَوابةِ المَدينةِ ،

((أحداث حقيقية))

ووَضعَ زَوجةَ المَلكِ وبَنَاتِه وزَوجاتِ أبنائِه وأطَفَالِهم في اِصْطِفافٍ عَرضِيًا يُشاهدُون ، ثُم صَرخَ مُخَاطِبًا المُتَرجِم الهَنديّ قَائِلاً :

ـ أنتم الآن تَرون كَهلَكم يَسِيرُ ذَلِيلاً مُطأطأ الرأسِ أمامَنا، وأبنائِكم رَاكعَين أسفلِ أقدامِنَا، تَجرَأتم وهَاجمَتُم أسيَادَكم وما أنتم سوى عَبيدِ لم تَرقَ لمَرتبةِ كلابِنَا ، والآن أقطعُ رُؤوسَ ابنائِكم أمامِ أعِيُنكم .

ما أن انتهَى مِن كَلماتِه وأشَارَ بيدِه حتى تَقدمَ ثَلاثُة جُنودٍ هَندِيين يَحمِلُون السِيوفَ تَوقفَ كلَ وَاحدٍ مِنهم خَلف واحدِ مِن ابناءِ المَلكِ الأسيرِ الرَاكعِين ، اَرتَفْعَتْ الآيادِي تَحْمِلُ سِيوفَ الغدرِ والخِيانةِ حتى ارتقَتْ سَماءَ الهندِ الغَائمةِ فهَوتْ الأنَصالَ تَشقَ الأعناقَ فأُغَرقَتْ الأرضَ دِماءٍ حَمراءٍ قَانيةٍ تَنْتَفضُ صَارخَة لم يَكنْ لها ذنبٍ سوى طَلبِها الحُريةَ، تَلطختْ أرضَ الهندِ بدِماء أبنائِها حتى أمستْ أرضٌ مَطليَّة بالدمِ المَلعونِ للمُطالِبين بالحريةِ ، لم تَغسلْ أرضَ الهندِ ولا بَوابة الدمِ أمطارِ الدمعِ المُتفجرِ مِن أعِينِ أمهِم ولا أشقائِهم وزَوجاتِهم وأطَفالِهم خَلفَهم ، دَوىَ رَعدُ أفواهَهم يَشقُ سُكوتَ القهرِ وامْتَدتْ أيادِيهم المُكبلةِ بصلافدِ وأغَلالِ الإحتلالِ تَترجى إلتقامَ رُؤوسَ أحبائِهم وهي تَتدحرجُ أسفلَ الأحذيةِ الإنجليزيةِ القَاسيةِ كقلوبُ أربابِها حتى سَكنَتْ الرُؤوسَ والأجسادَ الثَلاثَ أرضًا و استَعرَتْ قُلوبَ شَعبِهم ووَطنِهم بنيرانِ الفُراقِ والإستَعبادِ والقهرِ .

****

.. ثلاثة رؤوس مُحمرة ..

((أحداث حقيقية))

تَقدمَ باتجاهِي الحَراسِ فأمسكَ أحدَهم بكَتفِي لأرتكزَ عليه في هُبوطِي مِن العَربةِ وكان هَنديًا!، كيف ومتى أمكنْ هَؤلاء الشَياطينُ اَصْطنَاعِ جَيشًا مِن الهَنديين لتَسْلِيطَهم على بني وطنِهم؟!، هذا هو ما دَار في فِكريّ لمُجردِ رُؤيةِ هذا الحَارسُ فما أن وَضعَ يَدهُ على كَتفِي حتى أَشارَ له الضَابطِ الأنجليزي وصَرخَ فيه آمرًا :

ـ تَراجعَ أيُها الفَسلُ فليَهبطَ وَحدَه ولا يُساعدْه أحدَكم .

تَفهمَتْ كَلماتِه جَيدًا وما يَرمِ إليه هذا الضَابطُ ، كان يَعلمُ أن العَربَةَ مُرتفعةُ وأن سنيّ لن يَسمحَ ليّ بالهبوطِ وَحدي وقَطعًا سأسَقُطُ أرضًا ليَنالَ مُراده مِن نَظراتِ الشَماتةِ والتَشّفي؛ نَهضَتُ واستَجمَعتُ ما بجسدِي مِن قوةٍ لأهوي أرضًا ، فما أن لاَمسَ جَسدي الأرض حتى اشتعلَتْ بعظامِي وخَلايا جَسدِي نِيرانِ الألمِ تُلهبُ بدنِي المُنهكَ ،أسرعَتُ في استغلالِ طاقةِ جَسدِي لتَهيئِتَه في وَضعِ السُجودِ لأجأرَ إلى اللهِ في صَمتِي بأن يُهونَ عَني ما اشعرْ وأن يُلهَمنَي القوةَ ولا يَنالوا مُرادَهم مِن كسرِي فيكسرِون بي بَلاديّ ، أخَذَتُ أُقبلُ الأرضَ و مَسحَتُ وَجهَي بتُرابِها يَمينًا ويَسارًا ، نَهضَتُ وَاقفًا ونَظرَتُ إليه وأنَا أرفعُ هَامتي للسماءِ مُتعمدًا أن أُجَابَه بها قَممِ الجَبالِ وأردفَتُ إليه في عزةٍ :

ـ إني أقفُ على أرضٍ و لا يُعْبَني أو يَكسَرُني تَنشقُ تُرابَ أرضِها أو مَسحِ وَجهِي به؛ أما أنتَ فتَقفُ أمامي كحَيوانٌ ضَلَ عن أرضِه وشَردَ مَع قَطيعِه بأرضٍ ليستْ مِلكَه فيُجاهدُ بكلِ طَريقةٍ أن يُثبتَ لنَفسِه أنه مَالكُ الأرضِ رَغم يَقينِه أنها ليستْ له وأنه سيُطردُ مِنها مَهما طالَ الزمنَ .

ثَارَ كالمجنونُ مِن كلِماتِي وصَارَ يَصرخُ بالسِبابِ للهِندِ و شَعبِها وليّ وأمرَ الجُنودَ بنَقلِي لساحةِ القَلعةِ ، أجلسُوني أرضًا فلقدَ حَان مَوعدِ الطعامِ ولم أَفهمْ في تَلكَ اللحظاتُ لمَّ تم افتراشَ تَلكَ السَجادةُ الثَمِينةِ و

((أحداث حقيقية))

الأوانِي النَظيفةِ هل تذكرُوا الآن فَقط أني مَلكُ تلكَ الأرضُ وعَليهم احترامِي فأنا أُمثلُ شَعبِي وإن كنتْ أسيرًا!، لا يُمكن أن يَكونَ هَؤلاء الضَالين على هذا القدرُ مِن الإحترامِ وبالتأكيدِ هناكَ شَيئًا أجْهلَه وأنا على وشكِ اكتشافِه، لا أعلمْ كم مَرَ عليّ مِن الزمنِ وأنَا أنتظرُ على حالِي ، تَوجستُ خِيفةًّ فَور رؤيةِ هذا الضَابطُ الإنجليزي يَتقدمُ عددًا مِن الجنودِ يَحملون صَحنَ طعامٍ كبيرٍ مُغطى ، اقتربَ مِني وأشَارَ للجنودِ بوضعِ الصَحنِ أمامِي وأردفَ بلهجِة غَريبةِ وهو يَنظرُ ليّ نَظرةٍ غريبةٍ قَائلاً :

ـ لقد أعددنَا لكَ وَليمةًّ تَتناسبُ مَع مَكانتِكَ المَلكية وتَليقُ بملكِ الهِندِ والهُنودِ ، أتمنى أن تَأكلَ مِنها حتى تَشبعَ، رَغمَ يَقيني أنكَ ستَشبعُ مِن مُجردِ رُؤية طَعامكَ! .

أنهى كَلِماتِه وأشَارَ للجنودِ برفعِ غِطاءِ الصَحنِ، تَقدمَ الجَنودُ وانحنوا ليَقبضُوا على الغطاءِ ونَهضوا مُبتعدِين ، وَجهَتُ نَظرِي لتَلكَ الوليمةُ التي تَحتَاجُ كلَ هذا التَجهيزُ ، ما أن وَقعَتْ عَينَي على ما بالصَحنِ حتى شَعرَتُ بألاف الطَعناتِ تَخترقُ قَلبِي ورَوحِي،أن تَرى ثِمارَ زَرعِ حَياتِكَ قد قُطعَ مِن أغصَانِه وهو في زِهرِة شَبابِه لتَأكلَ نَارَ الغَضبَ قَلبَكَ فتَلكَ هي الحَسرةُ؛ وأما عَجزكَ أمامَ المِقصلِة وهي تَقطعُ نَسلكَ وأنتَ مُكبلٌ بالقِيودِ فلا طاقة لكَ لمَنعَها ولا قُدرة لكَ على الصُراخِ والبُكاءِ فذلكَ هو القَهرُ،وقد حَييتُهم معًا في نظرةٍ وَاحدةٍ إلى صَحنِ اللعنِةِ ، تَراصَتْ على صَحنِ طَعامِي رُؤوسِ أبنائِي وفلذاتَ أكبادِي تُواجَهُني أعيُنهم الشَاخصِةِ في العدمِ ، انَتفضَ قَلبِي بداخلِ صَدرِي وصَرتُ أحَاربُ الرَعداتِ وأسَجنُها بداخلِ جَسدي الضَعيفِ ورُوحِي الذَبيحِةً؛ لم يَكتفِ هذا الشَيطانُ بما أمرُ بهِ ليَصرخَ فيّ قَائلاً :

((أحداث حقيقية))

ـ لما لا تَأكلْ فهل طَعامُكَ لا يُعجبْكَ أم أنكَ لم تَكنْ تُحبَ أفراخَكَ الثَلاثَ؟!؛ الآن هل تَفهمَتْ أنكم أيُها الهُنودُ لستُم أكثرَ مِن كونِكم عَبيدٍ ضَعافٍ بإمكانِنَا ذَبحَكم ذَبحَ الشاةِ متى أردَنَا لأننَا أسيادُكم .

إن هذا الشيطانُ لا يُردْ كَسريّ إنما يَبتغي كَسرَ شَعبِي ووَطنِي ، لا أعلمْ من أين أتَتْ إليّ تَلكَ القوةُ و الصَبرُ في رَديّ عليه بثباتٍ وقوةٍ دَفعتْه للجنونِ بحديثي :

ـ إن رُؤوسَ أحفادُ وأبناءُ بني تَيمور تَأتَي إلى آبائِهم وجُهوهم مُحْمَرة .

ألقيتُ إليه كَلِماتِي وبَسطَتْ يديّ ألتقمُ مِن الصَحنِ الطعامِ أسفلِ الرُؤوسِ ووَضعَتُها في فَمِي وبدأتْ أمَضغُ وأنَا أنظرُ إليه في ثَباتِ كنَظرةِ المُنتصرِ ، أصابَ هذا الضابطُ الجُنونِ وصَارَ يَصرخُ في جِنودِه بنقلِي مِن أمامِ نَظرِه ،إن المُنتصر مهما كان قويًا فهو يَبحثُ في أعينِ المُنهزمِ عن نَظراتِ الإنَكسَارِ والحَسرِة فإن لم يَجدْها شَعرَ بضياعِ جُهْدِه وسَلبَ نَصرَه .

****

.. أرض رانقون ..

نَقلني الجنودُ إلى غُرفةٍ ضَيقةٍ للغايةِ بالقصرِ الذي كنتْ أَمْلكُه برحباتِه الشاسعةِ وعَظمتِه وفَخامتِه التي لم تَكنْ تُضاهيِها عَظمةَ وجَمالاً أبهى قصورِ انجلترا ، أخلُوا الغُرفةّ تَمامًا مِن الأوراقِ والمَحابرِ ولم يَكنْ بها سوى فَراشً بوسادةٍ واحدِة ، دَفعوني إليها دَفعًا بعدما فَك الحارسان الهنديين قُيودِي وجَلسوا على بابِها بعد إغِلاقِه عليّ وهم على بُعدِ مِترين مِن فراشِي وهي كاملُ مَساحةُ الغُرفةِ، الآن فقط يُمكنني الصُراخَ

لكن هؤلاء الشياطين يَجلسون على بابِ يَنتظرون اِنهياريّ وهو ما لم أُعطِه لهم ، جَلسَتُ بمنتصفِ الفَراشِ أواجَه الحائطَ وشَرُدَتْ في صَورِة رُؤوسِ أبنائِي فإنفجرَتْ مُقلتِي دَمعًا لا يَرَه أو يَحرقُ غيري ، أغْلقتُ عَيني فرأيتني برحبةِ قَصريّ في شَبابيّ والسَماءِ صَافيةِ فأخذَتْ أصرخُ وأجارُ بشَكوايّ إلى اللهِ ، فإن العدوَ تَملكَني والقَهرَ ذَبحَ قَلبِي و الحَسرةُ نَارٌ تَلتهمُ رَوحي ولا مَنجى ليّ مِن ظُلمهِمِ إلى عَدلِك ولا مَن مَحبسِي إلا رَحبةِ فَضاءِ مُلككَ ، كان هذا حَالِي طوالَ الأيامِ التي قَضيتَها في مَحبسِيّ بداخلِ قَصريّ بين الفينةِ والأخرى أتَسمعُ الضباطَ الإنجليزِ وهم يُحاولون السُخريةِ فأقهرَهم بصبرِي وثَباتِي ، أعَدُّ المُحاكمَة كما أرادوا وشَكلوها مِن بعضِ خَائني وَطنِي وبعضِ جُنودِهم ، قَادوني مُقيدًا في عُمري المُتقدمِ أمامَ شَعبِي يَكيلُون الإتهاماتِ إليّ بقيادةِ الثورِة وقَتلَ المَدنيين الإنجليزِ مُطالبين بإعدامِي ، نَظرَ ليّ القاضِي وسَألَني رَديّ ، نَهضَتْ أواجَه شَعبَ الهندِ ورَفعَتْ صَوتِي ليَسمعَه أكبرَ عددٍ مِنهم قائلاً :

ـ يَتهمُوني بأمرِ الثُوارِ قَتلَ المَدنيين وهو ما لم أفعلْه لم يكن بيدَيّ أمرً ولم أكنْ صاحبَ سُلطةٍ عليكم ولا عَليهم ، لقد وَرثَتْ حُكمَكم وأنتم مُستَعبَدُون مِنهم فكُنت مُستعبدًا مِثلكم وإنعكاسًا لكم ، حَلمتم بالثورِة والحريةِ فحَلَمَتْ مَعكم وجَاهدَنَا سَويًا وأما أمرَ قَتلَ المَدنيين فلم أأمر بقتلِ أحدًا إلا جُنودِ الإحتلالِ المُغتصب لوطنِي ، وإن أرادُوا التَشفِي بملِكِكم و إخبارِكم أنه كان يَتلقى راتَبه مِنهم ، فما كشَفوا إلا أنفسِهم فهم سَارقيّ ثَروتِكم ، نَاضَلوا ولا تَستَسلموا وإن أعدَمُوني فتَذكروني وتَذكُروا أن مَلكَكم لم يَخُنكم ولم يَكسره عدوَكم .

ثَارَ العامةُ لكلِماتي فأمرَ الضابطُ الإنجليزي بإعادتِي لمَحبسِي ، عَلمتْ أن أعضاءَ المَحكمةِ الهنودِ طَالبوا بإعدامِي وكذلكَ الإنجليزُ إلا رجُلاً واحدِ رَفضَ إعدامَي وهو اللورد (كايننج) الحاكمُ العامُ الإنجليزي وقَررَ نَفيِّ إلى (رانقون) ببورما؛ قَاموا بنَقلِي إلى رانقون بعربِة مَكشوفِة

((أحداث حقيقية))

لِيُشاهِدَني شَعبَ بورما وأسَكنوني منزلاً صغيرًا وزُوجتي و بَاقي أبنائِي بمنزلٍ أخرٍ ، حتى تَلكَ اللحظةُ التي شَردتُ فيها وأنا جَالسًا بفراشِي وذِهنِي ورُوحِي برحبةٍ فسيحةٍ مِن المُروجِ الخضراءِ ، لمَحَتُ أبي بصُحبتِه أبنائي فأسرعَتُ رَكضًا إليهم أحتضنَهم ، فأشَارَ ليّ أبي بأن وَقتَ خَلاصي قد حانَ ولن أعودَ لألامي بغرفتِي وحديّ ثانيةٍ ، التَفتُ أنظر لقَصريّ بدِلهي و أردَت أن أخبرَ كلَ الهنودِ أن يَتذكروني ويَتيقنوا أن مَلكهَم لم يَستسلمْ أو يَخذلْهم أو يَنكسرْ وهو في أرذلِ عمرِه وأني أثقُ أنهم سيَصلون يَومًا للقوةِ التي تَدفعُ الإنجليز لإحترامِهم يَومَها فقط سأشعرَ بأن تَضحيتي لم تَذهبْ سدى فإلى هذا اليومُ ....

****

تمت

" ظَل في مَحبسِه المُنعزلِ حتى وافتَه المَنية في عصرِ يومِ الجمعة ١٤ جمادى الأولى ١٢٧٩هـ/ ٧ نوفمبر ١٨٦٢م و قد بَلغَ مِن العمرِ ٨٩ سنة و كان عُمرُه حين تَولَى العرشَ سنة ١٨٣٧م ستين سنة ، لم يَكتفِ الإحتلالَ بحربِه حيًا بل امتدَتْ الحربُ لقبرِه بعد موتِه ، ماتَ (بهادر شاه) أخر ملوكَ الهندِ في مَحبسِه على سريرٍ حقيرٍ وليس حولُه أحدً إلا زوجتِه زينت محل و ولداه و أخفَى الإنجليزَ خبرَ وفاته ، بَالغَ الانجليز في اخفاءِ قبرِه فدُفنَ لجوارِ مَحبسِه ولجوارِ قاعدةِ عَسكريةِ حتى كادَ القبرُ يُطمسَ تَمامًا ومُنعَ عن الجَميعِ زيارةِ القبرِ ، جَاهدَ كثيرون للسماحِ بزيارةِ القبرِ وجمعَ التوقيعاتِ وفَشلَتْ كل المُحاولاتِ حتى نَجحَ اللجنةَ التي تَشكلَت برئاسةِ الحاجَ داوود أحمد البورمي حتى تَم بناءَ المَقبرة سنة ١٩٤٦. نعم سنة ١٩٤٦م بعد نحو قرنٍ مِن الزمانِ و الإنجليزِ يُحاربون عَظامَ القبرِ أو على الأصح تُرابِه !

٥

مَالكَابَا مِصرز

سرُ الثُلاثاءِ

" قِفْ بإحترامٍ وتبجيلٍ فأنتَ بحضرةِ أعظمِ ملوكَ الجنِّ وأشرسهم وأقواهم؛ هو مَن لم يخسرْ معركةً قطّ ولا يعرفْ سوى طعمِ النصرِ؛ هو مَن تهتزُ الأرضُ لجيوشِه ووزرائِه وحاشيتُه وتفزعُ الجبالُ مِن حضرتِه؛ إنهُ محرزَ الأحمرِ"

باranormal_باسم زكي

((أحداث حقيقية))

..أبا محرز الأحمرِ ..

..أبا يعقوب الأحمرِ..

.. عَالمُ الجِنُّ ..

.. بني إبْليس ..

.. سرُ الثُّلاثاءِ ..

اِنْدَفَعَتْ في طَرِيقِي فلم يَعُدْ هُنَاكَ مَجالٌ لتَرْاجُعَ ، فلم أَخْتَرْ هذا الطريقُ لأَسِيرَ فيهِ إنما فُرِضَ عَليَّ فَرضًا وها أنَا مُجبرٌ على السَيرِ فيهِ وَحدِي ، سِلَاحِي الوَحِيد إِيمَانِي وهو ما يُطْمَئِنْ رُوحِي الفَزِعَة مِن أَهْوالٍ يَقْينِي يُخْبرُني أنَّهَا قَادمَةٌ لا مَحالَةُ ، تَتصاعدُ ضَربات قَلبِي مَع قَفرِ هذا المَكانُ وظُلامهُ ، أكان يَجبُ أن تَتعْطلَ سَيارَتِي في تِلكَ الليلةُ وهي ليلةُ رَأسُ السَنةِ وهي لَيلةُ الثُّلاثَاءِ وعلى طَريقٍ مَهْجُورٍ! ، إني سَيئُ الحَظِ لا مَحالَةُ فلم تَكنْ تَلكَ أَحْلَامِي أوطُمْوحَاتِي مُطلقًا لقضَاءِ تَلكَ الليلةُ إلا إنَّهُ الثُّلاثاءُ مِن جَديدِ، هذا اليَومُ دَائمًا ما يَخْذُلني وتُصْابْني فيهِ الكَوارثِ بشَّكلٍ غيرَ طَبيعي أو مُتَوقعٍ وطَالَمَا أَردتُ كَشفَ

((أحداث حقيقية))

سِره وعَجَزتُ ، حتى أَتْممتَ تَلكَ القِراءةُ الغَريبةُ والطُقوسُ الأَغربِ الليلةِ فِي مَوقعِ عَمليّ بالصَحراءِ مِن هذا الكِتَابُ القَدِيمُ الذي عَثرتُ عليهِ بالصدفةِ فِي مَكتَبةِ جَديّ القَديمةِ وكانَ يَحملُ عِنْوانً (مَالكَابَا شُوغَال__ سرُ الثُّلاثاءِ) ، ورُغمَ اِتْقَانِي القِرَاءةَ وتَنْفِيذُ الطُقوسَ التي تُوجبُ بإنْتِهاءِها أن اَلتَقِي ب(أبا يَعقوب الأحمرِ) لأَعْلمَ مِنه سرِ نَحْسِيّ المُطلق فِي كلِ ثُّلاثاءٍ لم نَلْتَقِ ، بَاءَ كُلَ شَيئًا بالفَشلِ ولم التقِ أحدً كما كان يَنْصُ الكِتَابُ، بل تَكررَ نَحْسِيّ مِن جَديدِ وها قد تَعْطَلتْ سَيارَتِيّ فِي رِحلةِ عَودَتِي للمَنزلِ وعَليّ الآن اِجْتِيازُ هذا الطَريقُ المُقْفرُ بالصَحراءِ لأَمُرَ عبرَ طَرِيقٍ أكثَرِ فَزعًا تَحْدُه الأشّجَارَ الكَبيرَة على الجَانِبين حتى أَصْلَ إلى أَقربِ مَنْطَقةٍ سَكنِيةٍ هُنَا بَحثًا عَن عَاملِ صِيانةٍ يَمْكَنهُ إصْلاحَ سَيْارَتِيّ .

****

اِنْدفعَتُ فِي طَرِيقِيّ تَغُوصُ أَقْدَامِيّ فِي تَلكَ الرِمَالُ الكَثِيفَةُ وتَكادُ تَحْمَلُنِي الرِياحَ فِي خَلاءِ تَلكَ الصّحَراءُ حتى ظَهرَتْ تَلكَ الأشّجَارُ وقد كانتْ تَقفُ كحَائطِ صَدٍ يَمْنَعُ تَلكَ الصَحرَاءُ مِن التّقْدُمِ لإلتِهْامِ بَاقِيّ الأَرضِ ، وَصلَتُ إلى الأشّجارِ لأعبُرَ مِن بينها وأغْوصُ بهذا الطَريقُ المُخيفُ ، ظَلامٌ غرَيبٌ وأصواتُ الرياحِ التي تُحركُ أوراقَ الأشّجارِ تَعْبَثُ بأفْكَارِي لأَرىَ ظِلالَ الشّياطِينِ تَتراقصُ أمامِي طَوالِ الطَرِيقِ لتَختلطَ مَع تَلكَ الأصواتُ المُفزِعةِ لتُكونَ مَعزُوفَة الفَزَعِ لرَوحِي ، لم أَعلمْ أكلَ ذَلكَ مِن فِعلِ الرياحِ وتَصادُمِها

((أحداث حقيقية))

بالأشّجارِ أم مِن الشّياطينِ و خَياليّ المُشّوشِ بظَلامِ تَلكَ اللَيلةُ ، لكنَ ما كَانْ يَدورُ في رأسِيّ هو أنه عَليّ الأنْتِهاءِ مِن هذا الطَرِيقُ بأسْرَعِ وَقتٍ حتى أصلَ لتَلكَ القَرِيةُ وأجدَ عَامِلَ الصِيانَةِ لأرحلَ مِن تَلكَ المِنْطَقةُ المَلعُونةُ ، كثيرًا ما سَمعْتُ في مَوقعِ عَملَيّ في الصَحرَاءِ أن تَلكَ المِنْطَقةُ تَعْجُ بالشّياطِين ولم يَكنْ في مُخَيلَتِي أن أتْواجدَ بها يَومًا وقَادَني النَحسَ أن أَتْواجدُ بها في لَيلةِ الثُّلاثاءِ ، أَسْرَعتُ خَطواتِ وبَدأَ العَرقُ يَنْسَابُ فوق جَبينِ وبرودةٍ تَتسَربُ بداخلِ جَسدِيِّ وإضْطَرابٍ يَجْتَاحُ كَيانِيّ ، ياالاهذا الطَرِيقُ كُلمَا أَسْرَعْتُ فيهِ شَعْرَتُ أنهُ يَطُولُ ولا يَنْتَهِ ؟! ، رَفعَتُ يدَيّ لأنْظرَ في السَاعةِ لأَعْرِفَ التَوقِيتَ فشَّدَهنِي هَولَ ما رَأيتُ حتى تَوقْفَتُ عَن الحَركَةِ ، لقد تَوقْفَتْ عَقَارِبَ السَاعةِ عَن الحَركَةِ تَمامًا وكأن الزمنَ تَوقْفَ ؟! ، ما الذي أصَابَني وما الذي حَدثَ ؟! ،آلافُ الأسئِلةِ والأفكارِ المُفزِعةِ اَجْتَاحَتْ كَيانِي ، هل أصَابَتْني حَادِثةَ وأنَا الآن هَائمُ مُعلقٌ الرُوحِ بَين المَوتِ والحَياةِ ؟! ، زَوجَتي وابنَتي ما الذي سيَحدثُ لهم مِن بَعدِي ؟! ، هل أنَا على استِعدادٍ لرَحِيلِ والحِسَابِ ؟! ، رَكضَتُ تِجاهَ الأشّجَارِ بَاحثًا عَن مَمرٍ للعَودةِ إلى الصَحراءِ بقْفَرِها مِن جَديدِ فأَعجزَتْنِي الأَفْرُعَ الكَثيفةِ بينَ الأشَجَارِ عَن المُرورِ و الرُؤيةِ! ، ما الأمَر هل سُجنَتُ في هذا الطَرِيقُ المُظلمِ المُخِيفِ ، أينَ المَخْرَجِ والمَهرَبِ مِن هذا الجَحِيمُ ؟!

****

((أحداث حقيقية))

دُرتْ حَولَ نَفسِي أبحثُ عَن طَيفِ أحدِهم يُنْقِذُنِي مِن هذا العَذابُ ، حتى بَدأَتُ أَلمحُ قُدومَ أحدِهم يَمتَطِي حَيوانًا مِن بَعيدٍ ، هَرولَتُ إليه باحِثًا عَن النَجاةِ فكان على ذَاتِ خَطواتِه ولم يَبدُ عليهِ أيّ تَغيرٍ فِي حَركَتِه هو أو الحَيوانُ الذي يَمْتَطيه ، يَبْدُو أنه رجلٌ شُجَاعٌ قَوِيّ فمَن لا يَخفْ ظُهورَ شَخصٍ له بهذا الطَرِيقُ المُفْزِعِ بالتَأكِيدِ قَويّ البَأسِ و يَحملُ الكَثيرَ مِن الشَجاعةِ بداخلِه ، تَثَاقلَتْ أَقْدامي فَجأةً حتى عَجزَتْ تَمامًا عَن الحَركةِ وهو على مِرمَى نَظرِيّ يَقْتَرِبُ ، سَرتْ قَشّعرِيرَة فِي جَسدِي و وَخزَ آلافَ الإبرِ فِي كَاملِ جَسدِيّ ولا أَعلمْ السَببَ ، ظَلَتْ عَينَي تُراقبُ تَقدمُ هذا القَادمُ على دَابتِه أتْجَاهِي بهِدوءٍ وثَباتٍ ، اَقْتربَ كَثيرًا ليَصَعْقَني هَولَ ما وَقعتْ عليهِ عِيني ، إنهُ هو حَقًا ويَبدُو أن التَعويذَة والقِراءَة كَانتْ صَحيحةً فإنهُ يَمْتَطي دَابةً حَمراءَ كما ذَكرَ ، عليّ الآن اتِبَاعُ القَواعدِ والتَأدبِ فِي حَضْرَتِه فهو لن يَتوانَ عَن قَتلِي فِي لَحظَةٍ إن أسأَتُ التَصرُفَ ، خَفضَتُ رأسَيّ لأسفلِ وأنَا أنْتَظرُ حتى تَوقفَ أمامِي ، عَاجلَتُه بالحَدِيثِ وأنَا أنْظرُ لمَوضعِ أَقْدَامِي فأن التَأدبَ فِي حَضرَتِه قَانُونٍ ومُخَالَفتِه ولو بالنَظرِ قد يَعُدَها تَحْدِيً ، فخَرجَتْ نَبرَة صَوتِي مُضْطَربةٍ مُنْخَفِضَةٍ :

ــ السلامُ على أبي يَعقوب الأحمرِ، الأميرُ المُقرُ والقَائدُ المُعْظَمُ للجّنِ الأحمرِ .

هَبطَ مِن فَوقِ دَابتِه واقْتَربَ مِني فألهبَ حُضُورُه ومَهابتُه روحي وجسدي بشَكلٍ مُخيفٍ ، تَحدثَ بنبرةٍ مُفزعَةٍ ولم تَأتِني الجَرأَةَ لأَنْظرَ لهِ لأَعلمَ مَلامِحَه قَائِلاً:

ــ ما الذي دَفعَكَ لطَلَبيّ وما هو طَلَبُكَ ؟ .

استَجمَعتُ شَجاعَتي وتَحدثتُ وقَلبي يَنْتَفِضُ :

ــ أردَتُ مَعرفَةَ سرُ الثُّلاثاءِ و دَفعَني ما أعانِه مِن كَوارثِ مع كلِ ثُلاثَاءِ ؟!.

جَهرَ بضَحكَاتٍ غَريبةٍ وتَابعَ بذَاتِ اللهَجةِ :

ــ أنتَ شَغُوفٌ للمَعرفةِ مِثلَ جَدِكَ (عُثمان)، لكن أبيكَ كان جَبانًا لا يَقوَ على مُواجهةِ مَخْاوفِه بخِلافِ جَدِكَ الذي كان قَويًا للغَايةِ؛ أنتَ تُشبهُ جَدِكَ كَثيرًا في بدايةِ رِحلَتِه، وسوفَ أُجَابَكَ عن ما تَبحثْ عَنه وأفَتحُ لكَ الطَرِيقِ للمَعرفةِ؛ لكنْ تَذكرَ جَيدًا إن بعضَ أنْوَاعِ المَعرفةِ قَاتِلةِ وتُعذبُ حَامِلَها و أن الإخْتِيارَ لكَ وَحدِكَ وألا تُحَاولُ تَغِيرَ قدرٍ فالأقدارِ لا تَتغَير إلا بإذنِ رَبها؛ والأهمِ أن تَتذَكرَ دَائمًا أنكَ مَن سَعى لفَتحَ أبوابَ عَالمِ الجَّنِ بخيرِه وشّرِه! .

****

اهْتَزَتْ الأَرضُ وتَشّقَقتْ كأنما ضَربَتْها أعَنفَ الزَلازلِ ، وخَرجَ مِن شّقُوقِها لَهيبِ حِممٍ مِن النِيرانِ الجَاريةِ كأنهارًا ، اشتَعلَتْ الأشجَارُ نَارًا وأضحى ظَلامُ الليلةِ ظُهْرًا تُضِيئُه نِيرانُ الجَحِيمِ ، آلافُ الصَرخَاتِ تَصْدرُ مِن كلِ حَدبٍ وصَوبٍ تَحملَها الرياحَ السَاخنةِ ، تَبدلَ كلُ شَيئًا في لحظاتٍ و أنا أسمعُ صَرخَاتِه أمامِي بكلِماتٍ غيرِ مَفْهُومةٍ ، لم أمَتلكَ الشّجاعَة للنَظرِ إليهِ مُطلقًا فأغْمَضتُ عَيني عَن جَحيمِ عَالمِ الشّياطِينِ المَفتُوحِ أمامِي

((أحداث حقيقية))

وأنا أدفنُ رأسَي بينَ يدِي راكعًا على رُكبتِي أرضًا أجَاهدُ السُقوطَ في أحدِ شُقوقِ الجَحِيمِ المُتفَجرةِ أسفلَ أقدامِي ، سَادَ الصَمتُ فَجأةً وعَمَّ الهُدوءُ حتى اختَرقَتْ كَلِماتُه أُذنِي بنبرتِه القَويةِ التي يَقْشَعرُ لها بدنِي قَائلاً :

ـ قُفَّ بإحَترامٍ وتَبْجِيلٍ فأنتَ بحَضرَةِ أعَظمِ مُلوكِ الجَنِ وأشرَسَهُم وأقَواهم؛ هو مَن لم يَخْسَرْ مَعركةً قَط ولا يَعرِفْ سوى طَعمِ النَصرِ؛ هو مَن تَهتزُ الأرضُ لجِيُوشهِ ووزَرائِه وحَاشِيتُه وتَفزعُ الجِبَالُ مِن حَضرتِه؛ إنه مِحرزُ الأحمرِ .

انْتَزعَتني كلِماتُه مِن حَالتِي فنَهضَتُ ببطءٍ لا أَرفعْ رأسَي ، فكَانتْ الأرضُ مُمَرجَه بلُؤلُؤٍ أحمرٍ يَشّتَعلُ نَارًا مِن بَاطنِه ، اجتَاحَتْ جَسدَيّ رَعدَاتِ الفَزَعِ والقَشّعَريرةِ سَرَّتْ في كَاملِ جَسدِيَّ مَسْرَى الدِمَاءِ وبَدأَتُ انْتَفِضُ ، حتى شقَّ صَوتُه الصَمتَ يُقظُ الأمَواتِ مِن دَاخلِ مَقَابرِهم صَارخًا بغَضَبٍ عَارمٍ :

ـ ارفَعْ رأسَكَ يا ابن آدم ولا تَحْنِ رأسَكَ إلا لله ، أراكَ هَزِيلاً فما كانْ جَدُكَ على هذا الوَهنُ يَومَ طَلَبَ وَصلنَا، كُنْ قَويًا فلا حَاجةٌ لضُعَفاءِ في هذا الكَونُ .

رَفعَتُ هَامَتِي بهَدُوءٍ لتَنْبَسطَ حَدقَتَا عَينيّ على إتْسَاعَهما لعَظمِةِ وهَيبةِ هذا المَلكُ ، اتّسعَتا وأنَا أَقْفُ مَشدُوهًا أمَامَ هَيئَتِه ، ضَخمُ البُنيانِ يَرْتَدِي ثِيَابٍ بَيضاءِ مُطَرزةٍ بالذَهْبيّ ، وعلى رأسِه تَاجٍ دَائري أَبيضِ تُزينُه الجَواهِرِ الحَمراءِ والزَرقاءِ في تُحفةٍ إبْداعيةٍ ، قَرنَان حَمراوان عَظِيمان يَرتَفعَان بدَورَانِ للخَلفِ ، لم أتْمَالكَ نَفسَيّ لنَظَرِ

((أحداث حقيقية))

أكثر فالتَدقِيق بالنَظرِ في شَرعِ المُلوكِ إهَانَةٍ ، فخَفْضَتُ عَينِي وأجبَتُه كما عَلمَتُ مِن نَصِ الكِتَابِ قَائِلاً بهدوءٍ :

ــ السلامُ على مَالكَابَا شُوغَال ، مِحرزُ الأحمرِ ، مَلكُ مُلوكُ الجَّنِ ، المُؤمِنُ النَاسِكُ ، البَاطِشُ القَويُّ ، المُهَابُ العَزِيزُ .

وَجهَ حَدِيثَهُ لأبا يَعقوب الأحمرِ الوَاقفِ أمامِيّ تِجَاهِ اليَمين :

ــ اسْتَقبِلَ حَفِيدَ (عُثمان) و لتُعَلِمَه ما لا يَعلَمْه عَنَا و اصَرِفَهُ بسَلَامٍ مِنَا عَلَهُ يَكنْ خَلِيفَةَ جَدِه .

لم أتْمَكنْ مِن النَظَرِ إليهِ مَرةٍ أخرى ، فلم تَطرُفْ عَينَي حتى وَجدَتُني على قِمَةِ جَبلٍ يَقِفُ أمامَي أبا يَعقوب الأحمرِ ، كانتْ تَلكَ هي المِرةُ الأولَى التي تَقعُ فيهَا عَينِي عَليهِ ، ضَخمًا له قَرْنَين حَمْرَاوين ويَرتَدي ثِيابَ حَمراءَ ، يَحْمِلَ على رَأسِه تَاجٍ أحَمرٍ وله مَلامحٍ مُخِيفةٍ وهَيبَةٍ ومَهَابةٍ لا تَقلْ عَن مَلكهِ ، تَحدثَ بنَبرَتِه المُعْتَادِة وهو يُشِيرُ خَلفَه :

ــ أنتَ تَقفُ على أعْتَابِ أعظمِ مَمَالِكَ الجِنِ وأقَواهم ، أنتَ أمامُ مَملكةٍ لم تَذقْ طَعمَ الهَزِيمةِ قَطّ ، انْظُرْ لعِظَمَتِها حتى تَشَبعَ عَيناكَ .

وَقعَتْ عَينِي على تَلكَ المَلكةً بين الجِبَالِ ، أسْوارُها عَالِيةٌ لا تَسمَحْ لكَ بالنَظرِ دَاخلِها مُطلقًا ، تَعجُ بالقِبَبِ المُدببةِ نِحَاسِيةٍ لامِعةٍ ، لا بابُ دُخولٌ لها ولا مَخرجٍ! ، كانتْ

((أحداث حقيقية))

تَلكَ نَظرَتِي الأولى لها ليَنْتَزعُني مِن حَالِتي حَديثِه، أسرَني البَحثَ عن سرِ الثُّلاثاءِ ولكي أَفهمَ عَليّ مَعرفَة أن عَالمَ الجِّن تَحْكُمَه القَواعَدَ والقَوانِينَ وهي صَارِمةٌ على الجَمِيعِ ، فلا تَمييزْ لَملكٍ أو فَردٍ على الآخرِ في عَالمِ الجَّن ، وأهم تَلكَ القَواعَدُ أن عَالمَ الجَّنِ تَحْكُمُه مُلوكً سَبعة ، لكُلِ مَلكٍ مِنهم يَومًا يَحْكمُ فيهِ على مَعشرِ الجَّنِ ويَكون نُفوذَه مُطلَقًا ، وأن الثُّلاثاءَ هو يَومُ المُلكِ مِحرز الأحمرِ ، وتَلكَ هي مَملكةُ الجِّنَ الأحمرِ وأنهم مِن أقوى فَصَائلِ الجَّنِ وأعَظمَهم قَوةٍ وقُدَرةٍ ، لذلكَ عَكفَ (إبليس) على زِيادَة أتبَاعِه وابنَائِه مِن الجَّنِ الأحمرِ لقُوتِهم ، فتَقعُ أقَوى قَبائلِ الأبَالِسةِ تَحتَ سُلطةِ (مِحرزِ الأحمرِ) ، ومنهم بني القَمَاقمِ،والنُعْمَانِ،و قِيعَان،و دَهْمَان، والغِيلَان؛ وجَمِيعُ تَلكَ القَبَائِلُ وأكثرُ مِنهم . هم مَن أقوى الشَيَاطِين فتَنشَطُ قُوتُهم و يَقوى تَسْخِيرُ سَحَرَتِهم مِن البَشرِ لهم في يومِ سُلطَتِهم ونُفُوذِهم وهو الثُّلاثاءُ ؛ أكثر ما تَعجَبْتُ مِنه هو كَلِمَاتُه التَالِية حِينَما أخبرَني أن جَمِيعَ أنواعُ الجَّن يُمْكِنُها تَفْعِيلَ أقَوى وأفتَكَ أنواعِ السِحرِ بل والقَتلِ أيضًا ، وإخراجُ الخبَايَا مِن بَاطنِ الأرضِ ولهم قُدرَاتٍ خَارِقةٍ لن يَتْخَيلَها عَقلِي؛ لم أتَمَالَكَ نفسَي عَن سُؤالِه :

ــ يا أبا يَعقوب ، أو ليس (مِحرزِ الأحمرِ) مَلكٌ مُؤمنٌ فكيف يَسمَحُ بتَلكَ الذُنُوبُ والمَعَاصِي في يَومِ مُلكِه و بدَاخَلِ أسوارِ مَملكتِه ومِن أهلِه وشَعَبه ؟! .

ضَربَ الأرضَ بقَدمِه غَاضبًا وصَرخَ فيّ قَائِلاً :

ــ ومَن أَعلَمَكَ أن مَلكَنَا يَقبلُ فهو أخوفُ على الدِينِ وأحَرصُ على اللهِ مِني ومِنكَ؛ لكنكَ لا تَفهَمْ فنَحنُ أَدواتُ تَنفِيذِ خَلقَنَا اللهُ لحِكَمةٍ وجَعلَ لكم طَرِيقًا للسِيطرةِ علينَا لتَنفِيذَ رَغْبَاتَكم الشَرِيرَة لحِكمَةٍ ، كما سَخرْ لكُم العِلمَ فصَنْعَتُم أسلحَةً أَبدتُم بها أقوامٍ مِنكم ، فما ذَنبُ قِطعَةُ المَعدَنِ إن شَكلتَها سِلَاحًا فدَفَنْتَهُ في قَلبِ إنسانٍ فقَتَلتْه أو ذَبحتْ بها شاةٍ فأكَلتْ مِنها؛ الأمرُدائمًا بيدِكم فأنتم المُفْتَاحِ لا نَحنُ، وهل أنَا مَن أحضرَتُكَ إلى هنَا أم أنتَ مَن سَعي إلينَا لَاهثًا في بَحثِكَ عَن تَفسيرِ أسرارِ يَومِكَ ، ولو أنكَ بَحثْتْ في نَفسِكَ لعَلِمَتْ أنكَ وَحدكَ مَن يَرى أشياءً بَسِيطَةً قد تَحْدثُ بأيّ وَقتٍ لكَ أو لغَيركَ على أنها شرًا مُسْتَترًا يَحتَاجُ لصَرفِه؛ لكن تَلكَ هي حُجةُ البَشرِ دَائمًا أن الشَيطَانَ وَسوسُ لهم وهل أَخذَ بنَاصِيتِكَ لتَقتَرِفَ ذَنبَ أم اقْتَرَفتُه بيدِكَ ؟! .

أصَابَتْ كَلِمَاتُه سُويدَاءَ قَلبي ورُغمَ قُوتِها وَحِدَتِها إلا أنـها حَملَتْ بَين ثَنَايَاها الأمنِ و السَكِينِة لنَفَسِي ، حَقًا فلا طاقةُ للجّن إلا بتَسخِيرِ بَشرِي فلما أُلقِي عَلِيهم ذَنبٍ أقتَرفتُه بنَفسِي ، ولو كان الثُّلاثاءُ يَومَ نَشَاطِ أقوى قَبائِلِ الجّنِ والشّيَاطِينِ فربيّ هو رَبُ الثُّلاثاءُ وكلَ يَومٍ وسَاعةٍ ولَحظَةٍ؛ عَادَ إلى حَدِيثِه بنَبَرتِه المُعتَادِة قَائِلاً :

ــ الآن قد صَارَ عِندكَ قَدرٍ مِن المَعرفةِ ، وقدَ عَلِمَتْ طَرِيقَكَ لتَنْهَلَ مِنهُ وَقتِما تُرِيدُ و قد تَمْكَنَتْ مِن سِلاحِكَ وبيدِكَ وَحدِكَ قَرارِ غمدِه أو إطلَاقِه .

ألقَى أخرَ كَلِمَاتُه ورَحلَ ، عَم الضَبابُ بشَكلٍ غَرِيبٍ عَينِيّ لم أعدْ أَرَى شَيئًا ، فَركَتُ عَينِي بقُوةٍ أُجَاهدُ رَفعَ الغَمَامَة عَنها ، فصَعقَني هَولَ ما أرَ مِن جَديدٍ إنهُ مَوقعُ عَمَلِي

((أحداث حقيقية))

مِن جَديدٍ وأنَا أجَلسُ بذاتِ النُقطةِ التي تَبعْدُ عَن مَشروعِ البِنَاءِ الذي أعملُ فيهِ وآثار التَحضِيرِ أمامِي أرضٍ و كِتَابِ (مَالكَابَا شُوغَال ـ سرُ الثُّلاثاءِ) بيدِي ، إذًا أتَممَتُ النصَ بنَجاحٍ كما وَردَ بالكِتَابِ ، مَن هذا القادمُ تِجَاهِي ، أخَذَتُ أدُقِقَ النَظرَ فكَان أحدَ العُمالِ فَورَ أن تَوقفَ أمَامَي تَحدثَ قَائِلاً :

ــ السَاعةُ السَابعَةِ والرُبعِ يا سيدَ (عليّ) ألن تَنْصَرِفَ لقد تَأخَرتْ عَن مَوعدِ رَحِيلَكَ .

تَعْجَبَتُ من كَلِمَاتِه فسَألَتُه على عَجلٍ :

ــ عَشرةٌ دَقَائِقٍ هي كلُ جَلسَتِي هنَا ؟! .

نَظرَ لي في تَعجُبٍ و أرَدفَ :

ــ نعم لقد أخبرَتْني قبلَ أن تَجلسَ هنَا أن أعُودَ لكَ بَعدِ عَشرةِ دَقَائِقٍ ألا تَتذكرَ؟! .

أشَرتُ لهُ بالصَمتِ والأنَصِرَافِ ، حَملتُ الكِتَابَ واتَجهَتُ لسَيَارتِي فوَضعَتُه لجِوَارِي وأدرَتُ مِفتَاحَ السَيَارةِ فلم تَعملْ! ، رَفعَتُ يَدَيّ غَاضِبًا وأنَا أصرَخُ :

ــ إنهُ ال....

قَطعَتُ جُملَتِي في حَلقِي ونَظرَتُ للكِتَابِ على الكُرسِي لجِوَارِي وتَذكَرتْ ما حَدثْ في عَشرِ دَقَائِقٍ ، هَبطَتُ مِن السَيَارةِ وفَتحَتْ بَابَ الُمحَركَ وبنَظرةٍ بَسِيطةٍ عُدتُ بها لدِرَاسَتي في كُليةِ الهَندَسةِ كَان وَاضحًا أن الغُبارَ صَنعَ عَازلاً على أسَلاكِ بطَارِيةِ السَيَارةِ

((أحداث حقيقية))

فأزلتُ الغُبَارَ ، وعُدتُ أُدِيرَها فعَملَتْ فورًا ، نَظرَتُ للكِتَابِ على يَمِينِي ضَاحكًا وهَربَتْ مِن شفاهِي كَلِمَاتِي قَبلَ تَحَرُكِي وكَانتْ :

ـ الحقُ لو لم أمُرْ بتَلكَ الرِحَلةُ لكَانتْ ما تَزلْ تَتردُ صَرخَاتَي وإتهمِي ليومِ الثُّلاثاءِ ، رِحلةٌ وُاحدُة وعَشرة دَقَائِقٍ كَانتْ كَافِيةً لأُعَمِلِ عَقلِي لكنها بالتَأكيدِ لن تَكون الأخيرةَ فلم تَكنْ تَلكَ الرِحلةُ سوى البِدَايةِ فحَسبْ! ، إن الوَهمَ يَطمِسُ العُقولَ ويُغَيبُها و باليقِينِ تُنيرُ الألبَابَ وتَتبددُ ظُلُمَتِها ، حَقًا الأمرُ دَومًا بيدِكَ وَحدِكَ .



****

تمت

٦

بَحْرُ الشَّيطَانِ

مُثَلثُ التِنينِ

((أحداث حقيقية))

"إن ظَننتْ أن بَحرَ الشَّيطَانِ و مُثلثِ التِنيّنِ مُجردُ أوهَامٍ وخُرَافاتٍ وأسَاطِيرٍ! ،

فلتَسْتَعد لرحلةِ صَادِمةِ مِن الفَزعِ والمَوتِ بصُحْبَةِ الحَقِيقةِ"

..بحر الشيطان..

..مثلث التنيّن..

..أساطير قديمة..

..منطقةً محرمة..

..كارلوتا السفينة الناجية..

..رحلة في بحر الشيطان..

..ذهاب بلا عودة..

..لغز سفينة العلماء الضائعة..

..بحر الشيطان ..

..مثلث التنيّن ..

..أساطير قديمة..

اَندفعَتْ رَاكضًا في صُعودِيّ سُلمَ الطَائِرةِ المُتَجهـةِ إلى الفِلبين، تَغمُرنيّ الحمَاسةَ للوصُولِ إلى (كارلوتا) تَلكَ السفِينةُ النَاجِيةُ مِن (بحرِ الشّيطانِ)، الحقُ أن قَرارَ الحكُومةِ اليَابَانيةِ بتَكليفيّ الإشرافِ والإعدادِ لأكبرِ رِحلة استكشافٍ عِلميّ لتلكَ المَنطقةِ الخَطرة والغَامضةِ كان بمَثابةِ حَلمٍ حَلمَتُه طوالَ حَياتي ويَتحققُ الآن أمام عِيوني، هذا المُثلثُ البَحريّ الواقعِ بين جزرِ يوكوهاما شَمالاً ومِنها إلى جَزيرةِ جُوام جَنوبًا ثُم إلى جزيرةِ مَارينا ليَعودَ إلى يوكوهاما مرةٍ أخرى مُشكلاً مُثلث المَوتِ والفَزعِ لكلِ البَحارةِ في الشّرقِ الأدنى، هو أحد أجرأ الهَواجسِ والعَوائقِ لليابان فهو يَحتلُ مَساحةً تَزيدُ عن نصفِ مَساحةِ اليابان بالكَاملِ ويَسجنُ خَلفَ جِناحهِ الشَرقيّ مَساحة ثَمانِ مئة كيلو مَترًا مِن السَاحلِ الذي يَعتَمدُ عليه السُكانِ للصَيدِ وكَسبِ أرزاقِهم، وبالرغمِ مِن هذا الضَررُ البَالغِ الذي يُسببُه مُثلثُ التِنين لم يكنْ كلَ ذلك هو المُحركُ لقرارِ الحكُومةِ اليَابانيةِ بإعدادِ أهمِ وأقوى فريق بَحثيّ مِن العُلماءِ لكَشفَ سرُ بحرَ الشيطانِ، لكن السببُ الحَقيقي هو تَعددُ حوادثُ الإختفاءَ في هذا المُثلثَ البَحريّ المَلعونِ ، عَشراتُ السُفنِ الحَربيةِ

وحَاملتي طائراتٍ يابانيةٍ بكاملِ تَسليحها إبان الحربُ مع الفِلبين، والعَديدِ مِن الغَواصاتِ السُوفيتيةِ والتي كانتْ واحدةٌ مِنهم تَحملُ ثَلاثَ رؤوسٍ نَوويةٍ، وغَواصةٍ فِرنسيةٍ وأخرى بريطانية، والعديد مِن الطَائراتِ والتي كان مِن أشهرِها اختفاءِ طَائرةِ رَئيس الفِلبين وهو بصحبةِ أربعٍ وعشرين مُرافقًا له ولم يُعثرْ إلا على حُطامِ الطَائرةِ فقط! ، فعَكفَ والديّ على تَفسيرِ سرِ هذا المُثلثُ وقامَ بتجهيزِ سَفينةٍ يَتكون طَاقمُها مِن واحدٍ وثلاثين عالمًا للكشفِ عن نشاطٍ بركانيّ أسفلَ هذا البَحرُ المَلعونِ مُعتقدًا أنه قد يَكون السببَ في تَلكَ الحَوادثُ الغَريبةِ فما أن وَصلَتْ سَفينتُه للمُثلثِ حتى أرسلَتْ إشارةَ إستغاثةٍ وَاحدةٍ لتَختفي بباطنِ بحرِ الشَيطانِ دونَ تفسيرٍ! ، حتى أتتْ سفينة (كارلوتا) تَلكَ السفينة هي الأهمُ بين كلِ حَوادثِ الإختفاءِ الغَامضةِ، فهي السَفينةُ الوَحيدةِ النَاجيةِ بطاقمِها مِن بَراثنِ الشَيطانِ بمُثلثِ التنين، وبعد مُعانةٍ طَويلةٍ لإقناعِ الحُكومةِ اليَابانية بضرورةِ البحثِ لكَشفَ غُموضَ هذا البَحرُ المَلعونِ، صَدرَ أخيرًا تَكليفي لأُحققَ حِلمي بالكَشفِ عن سرِ مُثلثِ التنين وأُحققَ ثأريّ بالكَشفِ عن سببِ مَقتلِ والدي وطَاقم رِحلته لتَرتاحَ روحُه وروحي، بعيدًا عن تَلكَ الأساطيرُ والخُرافاتُ القَديمةِ ،مُنذ ثَمان مِئة عامًا ومَع تَجوالِ السُفنُ المَغوليةِ في بحارِ آسيا بَاحثةٍ عن التَوسعِ والغَزوِ فلم تَكنْ اليَابان إستثناءٍ واتجهَتْ إليها السُفن المَغوليةِ تَجتازُ مِياهَها الإقليميةِ حتى كَادوا يَظفروا بتلك الأرضُ الخَضراءِ الشَاسعةِ وثَرواتِها السَمكيةِ الضَخمةِ ليَهتاجَ عليهم البَحرِ مُلتهمًا عَشراتِ السُفنِ المَغولية الغَازيةِ رغم علمِ تَلك السُفنُ الغَازيةِ

وبَحارتها بالبحرِ جيدًا لتَنسحب السُفن الغَازية وتَرتفعُ أساطيرُ الرياحِ المُباركةِ ويَصيرُ عيدًا لليابانِ حتى زمنً قريبٌ، ويُعيدُ للأذهانِ تَلكَ الأساطيرُ القَديمةِ المُدونةِ بنصوصِ التِبت القَديمة والصِينية واليابانية عن الشيطانِ السَاكنِ لهذا المُثلث ووجود عرشُه أسفله و أن الحياتَ البَحريةِ الضَخمةِ والتنانيّن تَسكنَه لتَلتهمَ كلَ مَن يَقتربُ مِن عرشِ سيدهم! ، لم أقتنعْ يومًا بالأساطيرِ ولا الخرافات ولا الحُكومة اليابانية فكان تَكليفي أخيرًا بالتَجهيزِ لأكبرِ عمليةِ بحثً عِلميةٍ للكشفَ عن سرِ الشيطانِ القَابعِ أسفلَ مِياهِ مُثلث التنين، وكان يَجبُ أن تَبدأ رِحلتي مِن الفِلبين ومُعاينتي بنفسِي لسفينةِ (كارلوتا) وسَماعِ شَهادة النَاجين مِن براثنِ الشيطان، اقتربتْ مِني المُضيفة وأردفتْ بإبتسامةٍ صَافيةٍ:

ـ سيد (هاروكي) لقد وَصلنَا وتَستطيعُ فكَ حزامِ الأمَانِ للهُبوط من الطائرةِ.

كم كانت كلِماتها مُثيرةً ومُلهبة للحَماسِ بقلبي، ففَكت وثاقي واندفعتُ مُنطلقًا مِن الطائرةِ لأحصلَ على بدايةِ حَلمي والإمساكِ بأولِ خُطوطِ ثأريّ...

****

..كارلوتا السفينة الناجية..

اندفعَتُ فِي رِحلتِي فور هبوطي مِن الطائرةِ إلى المِيناءِ الذي تَرقدُ فيه (كارلوتا) تَلكَ السفينةُ النَاجيةِ مِن بحرِ الشيطانِ، لقد أمستْ تلك السفينةُ أحد أهمِ المَزاراتِ

((أحداث حقيقية))

السِياحية لكل باحثٍ عن السِياحةِ بالفِلبين، تَوقفَتْ السَيارةُ على رصيفِ المِيناءِ في المَوعدِ المُحددِ لزيارتي لها ، كان مِن المُقررِ أن اصلَ وأتفحصُ السفينةَ وألتقي بَعدَها بالسيدِ (تناكا) فهو كان أحدَ العَاملين بتلك البَاخرةُ التي كانت سياحية قبل دخولِها بحر الشيطان، حقًا تَلك السفينة نَجتْ لكنها لم ولن تَعودَ يومًا مِثلما كانت، فهي تَقفُ الآن أطلال سفينة مُحترقةِ المَظهرِ يَكسوها السَوادَ، ضَعفَ بَدنُها ولم يكنْ هنالك أملاً للشركةِ المَالكةِ لها في بيعها أو دفعها للعملِ مرةً أخرى، يَروى السكانُ المَحليين هنَا أن تلك السفينةُ تَخرجُ مِنها صَرخاتِ الأشباحِ ليلاً ويُقسمُ البعضُ أنه يَراها مُشتعلةً كل ليلةٍ، على كلِ الأحوالِ الأمنِ هنَا يَمنعُ التَواجدَ عليها ليلاً لكنِ احتفظَتُ لنَفسِي بموقعٍ قريبًا بأحدِ المَطاعمِ المُطلةِ على المِيناءِ وعلى السَفينةِ لألتقي السيد (تناكا)،

اقتربَ مِني المُترجم يَتبعَه أحدَ الحُراسِ وأردفَ في تَوددٍ:

ـ مرحبًا سيد (هاروكي)، هل أنتَ مُستعدٌ للصعودِ على متنِ (كارلوتا)؟.!

أجبَتُه بحماسٍ شديدٍ:

ـ بالتأكيدِ فلنَصعدَ فورًا.

أشارَ على الحارسِ ليَتقدمَ السيرَ بنَا فيُرشدُنا الطريقَ بداخلِ أطلال تَلكَ السفينة النَاجيةِ، تَحسسنَا خَطواتِنَا بداخلِ تلك السفينة نُجاهدَ السقوطَ عبر الفَجواتِ والمَناطقِ الهَشةِ ببدنِها مِن أثرِ الحَريقِ والزَمنِ، لا أعلم لما شَعرتْ بأن كاملَ جَسدي يُؤلمني وأنا

((أحداث حقيقية))

أحاولُ التَفتيشَ عن أي أثرٍ لبقايا موادِ قَابلة للإشتعالِ قد تَكون المُسبب لهذا الحريق وكان الأغربُ بالنسبةِ ليّ هو عدم وجودِ أثر لأية مواد قابلة للإشتعال! ، تَثاقلَتْ خَطواتِي وبَدأت قشعريرة غريبة تَسري في جسدِي و ألامٍ لا أعلمْ مَصدرَها تَجتاحُني فأخرجني من تلك الحالة صوت المُترجم مُحذرًا:

ــ سيدي، علينا الرحيلِ الآن فلقد أوشك الليل على القدومِ ويُمنع تَواجدنا بهذا التوقيت هُنا.

نهضتُ بصعوبةٍ وانسحبنَا مُغادرين لتلك السفينة المَلعونة، رَحلتُ عنها ولم تَرحل عني أفكاري وهواجسي ، كيف احترقَتْ تلك السفينة وهي لا تَحمل أية أثارٍ لبقايا مَوادٍ قَابلة للإشتعالٍ؟! ، كيف نَجتْ ونَجحَتْ في العودةِ إلى المِيناء بعد كُل تلك الإصابات البَالغةِ في بدنِها؟! ، ما الذي أوصلَ تلك السفينة إلى تلك الحالة المُذرية؟! ؛ جميعَها أسئلة مُؤجلة تُشعلَ نيرانَ الشغفِ لإجاباتها رأسي حتى لقاءَ السيد (تناكا) وسَماعي لقصتِه، بالتأكيدِ هو يَنتظرني الآن بالمطعم وعليّ الإسراع في خَطواتِي حتى أنهلَ مِن مَعرفتِه.....

****

..رحلة في بحر الشيطان..

..ذهاب بلا عودة..

((أحداث حقيقية))

اندفعتُ إلى الطاولِة التي تُجاورُ الشرفة المُطلة على (كارلوتا) بالميناءِ وكان السيد (تناكا) يَجلسُ بإنتظاري، قَدمَني إليه المُترجم فرَحبَ بنَا بحفاوةٍ، الشَعبُ الفلبيني مِن ألطفِ الشُعوبِ خاصةٍ كبارِ السن فيه، لم تُغادر وَجهه إبتسامته طوال لحظات الإستقبالِ حتى جَلسَنا فحدثتُ مُترجميّ لينقلَ له طلبي:

ـ أنَا السيد (هاروكي) عالم ياباني مُكلف بتشكيلِ فَريقٍ مِن العُلماءِ وتَجهيزُ سفينة بحث للكشفِ عن سرِ مُثلثِ التنين، فأتمنى عليك أن تَسردَ لنا كاملِ قصتِك مع (كارلوتا) مُنذُ تَحركِها مِن الميناءِ حتى العودةَ.

ارتعدَ بدنُه فورَ سماعِه كلِماتِ مُترجمي وارتعشت يديه حتى كادت تَسقطُ مِن يديه الكأس، وَضعَها بضعفٍ على الطاولةِ وتَبدلتْ مَلامحه تَمامًا فكستْ عيونه نظراتِ الفَزع وغزا الخوفُ قَسماتِ وجهه واستعمرَ الرعبُ فمَه فخرجَت كلماتِه كأنما يَتلعثمُ بالكادِ تَرجمها مُترجمي وكانت:

ـ بحر الشيطان، لن تُصدقَ كلماتِي لكن الشيطان يَملكَه حقًا فلا تَذهب إليه.

لم أتعجب من كلماتِه أو تَصدمِني فلقد قَابلتْ الكثيرين مِن البسطاءِ يَؤمنون بالمئاتِ مِن الأساطير والخُرافاتِ، لكن ما صَعقني حقًا هو مَدى صدقِ هذا الرجلُ في التعبيرِ عن خوفٍ حَقيقي وهو إن دلَ فما يَدل إلا عن مِقدارٍ لا يُحتمل مِن الخوفِ والفزعِ مر به هذا الرجُل ، أخبرتْ مُترجمي أن يُطمأنه وأننا نَحتاجُ لقصتِه فقد تُساعدنا في مَنعِ فقدِ حياةِ

أحدهم، فعلَ المُترجم ما طلبتْ واستطاعَ إقناعه حتى بدأ يَسردُ علينا قصته؛ صمت للحظات وأسهب في حديثه.

لم يكن يُدرك أحدنَا خطورة المَوقف وكانت وَظيفتي هي مُساعد في كابينة القيادة، كانت الأمورُ عاديةً تَمامًا حتى غزا البحرُ أمامَنا الضبابِ بكثافةٍ فجأة! ؛ موجاتٌ تلو الأخرى من الضبابِ الكثيفِ تتكون أمامَ سفينتنا بالدرجةِ التي دَفعتنا لمُلاصقِة أعيُننا بزجاجِ المُقدمة للتَمكن من الرؤية ولم نَتمكن أبدًا، اضطربَتْ البوصلة وأصابَها مَس الشيطان وبدأت تَتراقصَ في كلِ اتجاه بشكلٍ عجيبٍ ، بَدأت ألسنةُ الضبابِ تَتسللُ إلى داخلِ كبينةِ القيادة تَلتهمُ بقايا الرؤية لنا بداخلِ السَفينةِ حتى صَرخَ القُبطان بتوقيفِ جميع المُحركات، ما أن تَوقفَتْ المُحركاتُ وهدأت السفينة حتى انفجرَت براكين غضبِ الشيطانِ و جُن جنونه، صُعقت أذانُنا بصرخاتٍ مُدوية دَفعت الجميع لوضع يديه على أُذنيه خشية الصُمم، أصواتٌ مفزعةٌ لا يُمكن وصفها كأنما فحيحُ حياتٍ عِملاقة نَهضتُ من قعرِ بحرِ الشَيطانِ تُطارد أرواحنا، لم تكد تمُر علينا لحظات الفزع تلك حتى تلقت السفينة عدت صدمات دَفعتها للدورانِ حول نَفسِها عدةِ مَراتٍ في جنونٍ كأنها دُمية يُطبقُ عليها طفلٍ يَعبثُ بها فلم نعد نَعلم مِن أين أتينا ولا إلى أين نَتجه، لحظات وسكنَت السفينة وسكن كُل شيئًا حولنا، بَدأ الضبابُ الإنحسارَ و كذلك الأصوات المُفزعة وبَدأت تَعودُ الرؤية شيئًا فشيئًا، لم نَكد نَنهضُ بكبينةِ القيادةِ لنَستكشفَ وَضعَنا حتى رأيناه، كان تنينٌ ضخمَ للغايةِ لونه أسود ورُغم ضخامتِه لم يَكُن يَظهرُ منه

((أحداث حقيقية))

سوى نصفِه الأعلى أما باقي جسدِه فكان بأسفلِ البحرِ، نفثَ نيرانَ غضبه وصَب جحيمَ حقدِه على مُقدمةِ السفينةِ فدمرَ لهيبه زجاجَ كابينةِ القيادةِ، انخفضَ الجميع محاولاً النجاةِ مِن الموتِ، لحظات وتَوقفَ الجَحيمُ المُنصبَ على رؤوسِنا فصرخَ القبطانُ فينَا يُطالبُنا إطفاءَ الحريقِ الأمامِي للسفينةِ ركضَنا مُهرولِين في مُحاولةِ إطفاءِ النِيرانِ تُلهب ظُهورنا سياطَ الخوفِ والفزعِ من الموتِ، لم نَتمكن مِن السيطرةِ على النيرانِ بأيّ حالٍ من الأحوالِ و بَدا الأمرُ لنَا كأنها كلمات النهايةِ لتلك الرحلة والسفينةِ قد دونَها هذا الشيطان بلهيبه، بينما نَحنُ مُنهمكين في مُحاولاتنا الفاشلة للنجاةِ ظهرَ هذا الشيطان مرةً أخرى ونَفثَ نيرانَ حقدِه الشيطاني تجاهِ مُؤخرةِ السفينةِ مُشعلاً النيران بها وانسحبَ لقعرِ المُحيطِ مِن جديدِ! ، هَرولتُ مع البحارةِ ننَدفعُ إلى مُؤخرةِ السَفينةِ نُجاهدَ في محاولاتِ إطفاءِ النيرانِ فكانت تَشتعلُ أكثرَ، ارتفعتْ ألسنةُ اللهبَ وبدأتْ النيرانُ تُحاصرَنا مِن مقدمةِ السَفينةِ ومُؤخرتِها، حُشرَ جميعُ الركابِ والبحارةِ بمُنتصفِها يَترقبُ النهايةَ، خَارت العزائم وبدأ الجميعُ يَستسلمُ للنهايةِ التي تَدنوا منَا، لحظاتُ اليأسُ والإستسلامُ أشد فَتكًا على النفسِ من الموتِ نفسِه، لحظاتٌ تَدفعكَ للتفكيرِ بمَن سيَتضررُ بموتِك وتَتحمل أوزارَ عشراتِ الأرواحِ في حياتِك، لحظاتٌ مَريرةٌ مِن الندمِ على أفعالٍ لم تَفعلها وأفعال أُخرى فعلتها، حتى تَتمنى المَوتَ سريعًا فإن خُيرت بين تلك اللحظات والمَوت المُحققِ بدونِها لاختارَتْ المَوتَ قطعًا؛ كَسرَ تلك اللحظات نُهوضه مِن قعرِ البحرِ مرةٍ أخرى يَصرخُ بصرخاتِ الفزعِ مِن جديدِ ويَرتفعُ

للسماءِ فوقَنا فجعلَ نهارَنَا ليلاً بظلالِه الشيطانية وهو يَرحلُ تُتابعُه أعيُننَا جميعًا في فزعٍ ، قَفزت تنسحب خلفه حياتِ البحرِ الضَخمة وهي تَصرخُ في طاعةٍ لسيدِها، ما أن غابَ عن نظرِنا حتى عادَ إلينا نور الشمسِ وانطفأت النيرانُ مِن تلقاءِ نَفسِها فجأة كأنها لم تُشعل! ؛ وكان الأغربُ هو عملُ المُحركاتِ التي اعتقدنَا أنها لن تَعمل حينما عُدنَا لكبينةِ القيادةِ وكذلك البوصلة، لم تَعمل المُحركاتُ بكفاءةٍ فلقد تَضررت السفينة بقوةٍ لكنها تَحركت مَعنا لرحلةِ العودةِ بعدما اكتشفَنا أننَا طُردنا مِن بحرِ الشيطان؛ تلك الرحلة السوداء كان مُقدرٌ لها أن تكون رحلة ذهابٍ بلا عودةٍ، لكننا عُدنَا.!

ما أن انتهى مِن سردِه العجيبِ حتى انتفضَ من جَلستِه فزعًا يَندفعُ للخلفِ على أثرِ صوتِ صرخاتٍ لم أعلم مَصدرها، لاذَ بالفرارِ وهو يَلقي أخر كلماتِه وإشارتِه تَجاه (كارلوتا) عبر الشرفةِ وكانت:

ـ إنه يَسكنَها، لا تَذهب إليه فهو لا يَرحم لم نَنجوا إلا لأنه أراد أن نُخبرَ العالمَ عنه، لا تَقترب من مُلكِه.

****

..لغز سفينة العلماء الضائعة..

..منطقةً محرمة..

لم يَتوقف عقلي عن التَفكيرِ في أحداثِ تلك الليلة بالفلبين طوالِ شهرًا كاملاً، أُقاتلَ فيها الخيالِ والخوفِ وأفتشُ في أساطيرٍ قَديمةٍ ليلاً وأُعد نُخبة علماء اليابان نهارًا

وسفينةِ البحثِ، تم تَجهيزُ السفينة تمامًا بكافةِ وسائلِ الإتصالِ إلكترونيةِ وأحدثها وأضفنَا أجهزة إتصال بالأقمارِ الصناعيةِ وأجهزة تَنصتً دقيقةٍ للغايةِ و أجهزة تَتبعُ وأجهزة إلتقاطَ إشارات، لقد أعددتُ تلك السفينة بنفسِي وأنا على يقينٍ أنه يَستحيلُ ضياعَها أو إختفائها دون سببٍ، وها أنَا نفسي على ظهرها أقودَ كوكبة مُكونة مِن مئةِ عالمَ ياباني في رحلتِنا لكشفَ سر مُثلث التنيّن، لكن روحي تُخالجَها مَشاعر مُختلطة فكيف لا أخف ويَغمرني الفزعَ وقد سَمعتْ صرخاتِ الشَيطانِ بأُذني وهي تَصدرُ من (كارلوتا)؟! ، وكيف أكذبَ مَخاوفَ السيد (تناكا) والتي كانت جليةً عليه؟! ، فإن كذبَت كلَ ذلك وعدت إلى العلمِ والحقيقةِ فما السبب العلمي الذي يُعطي لهذا المُثلث تلك القدرة الجَبارةِ على القتلِ وجميعِ التفسيراتِ العِلميةِ حتى الآن تَقفُ أمامَه عاجزةٍ! ، الحقيقةُ أن العلمَ في كثيرٍ مِن الأحيانِ يَقفُ عاجزًا أمامَ الطبيعةِ والأهم الآن هو أنِ لن أتراجعَ عن تلك الرحلة في كلِ الأحوالِ إما أُحققُ كشفًا عِلميًا جبارًا أو ألحقُ بأبي فترتاحَ رُوحي وأُخلفُ ورائي دَليلاً لعالمٍ أخر قد يَكون أكثرَ مِني كفاءةً ويَصلُ لتفسير في حالة ضياعِنَا، الرسالةُ الأسمى للعالمِ هي البحثُ والتَفتيشُ المُستمرُ عن الحقيقةِ حتى لو كانت تلك الحقيقة مُهلكةً له؛ رَفعَ القبطانُ صوتَه وهو يُشيرُ لي بالأقترابِ لأجاورِه وأردفَ:

ــ نَحنُ الآن على حدودِ مُثلثِ التنين فهل نَستمرُ أم نَعود ؟.!

نظرتُ بدقةٍ وتحدي للبحرِ أمامِي وأجبتهُ بقوةٍ:

ـ استمر.

اندفعنَا للأمامِ بقوةٍ واجتزنَا عدَة أميالِ بالداخلِ حتى بَدأ فجأة يَغزو المُحيطَ ضبابٌ كثيفٌ للغايةِ اندفعَ تجاهَ السفينةِ بسرعةً خَاطفةٍ فكسَاها! ، تَراقصَتْ البوصلَة بجنونٍ حتى انفجرَتْ! ؛ يَبدوا أنيّ سألحق بأبي وعلى أحدهمِ البحثِ عنيّ وعن لغزِ سفينةِ العلماء الضَائعةِ ولكن هل سيَجدون شيئًا؟... !

***

"بعد تكرارِ حوادثِ الإختفاءِ في مُثلثِ التنين عَكفتْ الحكومة اليابانية على تَمويلِ مشروع ضخم للبحث عن سر هذا المثلث وقامت بتجهيز سفينة بأحدث أنواعِ التكنولوجيا وكان على مَتنِ تلك السفينة مِئة عالم ياباني، لكن السفينة اختفَتْ بداخلِ المُثلثِ دونَ أثرٍ! ، فأصدرتْ الحكومة اليابانية قَراراها بإعلانِ بحرِ الشيطانِ (مِنطقة مُحرمة) وخَطرةٍ للغايةِ وذَكرت ذلك في خرائطِها الرَسمية، كما اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بالخطرِ المُحيط بمُثلثِ التِنيّن وأصبح الأعترافُ بخطرِ بحرِ الشيطان أمرًا رَسميًا في دولِ العالمِ، لتَبتعد عنه خطوطِ المِلاحةِ ويَظلُ لغزًا لم يُكشف سرُه حتى الآن"

****

تمت

٧

سفاح الشطرنج

" قد تتوهم أنِ بيدقًا في جيش الرب ولكن الحقيقة هي أنِ ربُ تلك الملوك وجيوشها وبيادِقهُا وأُنهي حياة من أُريد منهم بإرادتي فتلك هي لُعبتي وأُحقق بها مشيئتي!"

.. سفاح الشطرنج..

.. ألكسندر بيشوشكين..

.. بيتسفسكاي الموت..

.. ٦٣ ضحية..

تحسست خطواتي إلى غرفة التحقيق بحرصٍ بالغ، استجمعت شجاعتي بعد فتح باب الغرفة وتوجهت بثباتٍ لا أملُكه تجاه كُرسي المواجهة لهذا المُتهم لا تفصلني عنهُ سوى الطاولة الكبيرة بيننا ويردعهُ عني أصفاده الحديدية التي تُكبل يديه وأقدامه، تلك هي القضية الأولى ليّ بعد إجازةً طويلة دامت لأكثر من ثلاثة أشهُر لم أكون أُريد لها أن تنتهي، لكنهُ القدر المحتوم وحده هو ما قد يدفعك للتواجد في أماكن لا تقبلها ولا تتقبل من يتواجد بها بل تشعر لوجودك بينهم بالاشمئزاز وتسري ببدنك القشعريرة وقد تقد تنزف أنفك من روائحهم القذرة، تلك اللعنة هي ما تُسمى العمل؛ دلفت إلى داخل الغرفة مشدوهًا من الأهوال التي سمعتها عن هذا الرجُل لكن أكثر ما شدهني في هذا الرجُل هو ثباته الغريب فرُغم أنهُ مُكبل بالقيود والأغلال ويواجه اتهامات خطيرة قد تودي بأحكامٍ تصل للسجن مدى الحياة إن ثبتت عليه لم يبدو عليه

أي تأثُرٍ أو مُبالاةً أو خشية! ، وضعت الأوراق أمامي وأنا أنظُر لها بدهشة وأردفت في ذات الدهشة من هول ما أرى بتلك الأوراق:

ـ دعني أُعرفك بنفسي فأنا (ديمتري) ضابط التحقيقات معك، أرى هنا يا سيد (ألكسندر) أنك مُتهم بقتل أربعة عشر شخصًا، فما هو ردك على هذا الاتهام؟!.

تعالت ضحكاته بشكلٍ هستيري وأجابني بعد أن هربت ضحكاته وتبدلت ملامحه الضاحكة لأبشع الملامح الشيطانية قُبحًا وأجابني بلهجةً مُفزعة وكلِماتٍ مسمومة بالحقد والكراهية وقعت على مسامعي كلدغات الأفاعي قائلاً:

ـ لا أعلم عن أي مجموعةً من القتلى تتحدث فلقد أنهيتُ حياة ثلاثة وستون شخصًا، إن عثرت على قطعة الشطرنج ستعي الحقيقة فأنا ربُ تلك اللعبة وخسارتي الوحيدة أنها انتهت قبل أن أُختمها بالضحية الأخير لتكتمل لُعبتي وأُحقق مشيئتي.

اندفع رجال الأمن إلى داخل الغرفة يصعقونه ويردعونه عني فلقد كاد يصل بوجهه إلى وهو يعتلي الطاولة الفاصلة بيننا، فشلتُ في السيطرة على نفسي وكبح جماح شياطين رأسي فلم أتمكن من منع قبضة يدي وهي تُلكم فكه لأُطيح به من أمامي، اندفعت في جنونٍ بجسدي ويدي أجاهد التقاطه للفتك به! ؛ اندفع الضباط بكثافة للغرفة يردعونني عنه بصعوبة بعدما أصابني مس الجنون ولم أستفيق إلى على صرخات (بوشينكو) ليّ وهزه كتِفيّ بيديه قائلاً:

((أحداث حقيقية))

ــ استفق لقد انتهى الأمر، هو لن يمسك بسوء فهو بين يدينا وسينال عقابه.

رفعتي كلتا يدي أصنع حاجزًا بيني وبين جمعهم وأنا أتراجع تجاه الحائط وأومأ برأسي إيجابًا وأجبتهُ:

ــ أنا بخير، سأخرُج لاستنشاق الهواء قليلاً ولتُتابع التحقيق معه يا (بوشينكو) وأبلغني بالمُستجدات.

لم أنتظر إجابته التي سمعتُها وأنا أُغادر الغرفة وكانت:

ــ عُد إلى المنزل وسوف أتي إليك الليلة أُطلعك على التطورات، فقط عُد إلى المنزل.

تفهمت كلِماته فلقد أراد أن ينتهي هذا اليوم العصيب بأسرع شكل، فهو يعلم مقدار عشقي لزوجتي (إرينا) فهي الوحيدة التي لا تضربني تلك الحالة الجنونية في حضورها أبدًا، فكيف تضطرب روحي وهي تؤمُها وكيف تخالجني الريبة والفزع وهي صفاء نفسي؛ علي الإسراع في الهرب من هذا الجحيم لجنة (إرينا) وملاكنا الصغير (أريان) فلقد اشتققت اسمه من أمه واشتق لهُ القدر منها جمالها فهم تناسخ نادر التكرار.

اندفعت إلى سيارتي أركُض هربًا إلى جنتي، لم يستغرق الطريق أكثر من خمسة عشر دقيقة كالعادة حتى وصلت لمنزلنا وتسللت كالعادة حتى لا تنتبه إلى وصولي لأباغتها

وهي تُعد لنا الطعام، كانت مُنهمكة بالطبخ فاحتضنتها من الخلف بقوة وأنا أهمس لها:

ـ أُحبك ولا أحيَّ إلا بقُربك.

تعالت ضحكاتها الصافية وأجابتني دون أن تلتفت أو تترك ما بيدها:

ـ أنت لا تتوقف عن محاولات إخافتي وفي كُل مرة علي أن أُعلمك، أن المرأة لا يعرف الخوف طريقها إن كانت بجوار رجُل، فما بالك إن كانت بين أذرُع رجُل هو من أحياها بعد موت و تتنفس بأنفاسه.

أدرتها برفقٍ لتواجهني ونظرت لعينيها وأردفت في خوفٍ حقيقي لم أتمكن من منعه:

ـ أسررتُكِ مئات المرات أنِ حقًا أُحبك وأي فكرةً لفقدك تقتُلني فلا تذكري لفظ الموت أبدًا على شِفاهُكِ ولا أي لفظٍ قد يفتح بابٍ للشياطين حتى تنهش روحي.

أنهت الموقف بذكاءٍ شديد كعادتها على صوت ملاكنا بقولها:

ـ هذا صوت (أريان) عليك الآن أن تدفعه للنوم حتى تحصُل على التحلية.

انتهت من جُملتِها وألهبت روحي وجسدي بقُبلة على وجنتي، هرولت لغرفة (أريان) هذا الملاك الصغير وحصاد زرعُ عشقي في رحم جنتي، انحنيت أحمله فهو ما يزال في الثالثة من عُمره ودُرت به حول نفسي وأنا أتراقص فرحًا قائلاً:

بارانورمال_باسم زكي

((أحداث حقيقية))

ـ لقد عاد لك أبيك، عاد إلى ملاكه الصغير فكيف حاله.

أجابني وهو يعقدُ يديه على صدره ويتصنع الغضب قائلاً:

ـ أين كُنت ولما تركتني وحيدًا، لقد بحثتُ عنك كثيرًا.

قبلتهُ ووضعتهُ بالفراش بين ذراعي وأجبته وأنا أداعب وجنتيه:

ـ أليس على أبيك أن يعمل حتى يُحضر لك ما تُريد؟!.

ـ لا ليس عليك أن تعمل، عليك أن تبقى إلى جواري ولا تتركني وحدي.

تعالت ضحكاتي وأنا أحتضنه بقوة في صدري وأجبتهُ:

ـ أعدُك أن أجد حلاً يجعلني لجوارك دائمًا، الآن كُل ما عليك أن تعلمه هو أن أبيك يُحبك بشدة.

مسح بيده الرقيقة على وجنتي وقبلني وأردف في حنو أمه عليّ:

ـ وأنت عليك أن تعلم أنِ أُحبك.

احتضنته بقوة فلقد قتل الكلِمات بحلقي، فبعضُ الأفعال لا يكون لها ردًا بالكلمات كقُبلةً من صغيري وصدق حُبه ليّ، إن الحُب هو أفضل نعم الله والأجمل لتشعُر بلذة تلك النعمة هو إحساسك بصدقها.

* * * * * * * * * * * * * *

.. قُبلةً وحُضن ..

انتزعني من النوم جرس باب منزلي، انتفضت خشية إيقاظ (أريان) واندفعت تجاه باب المنزل، فكان الطارق (بوشينكو)، صُدم لرؤيتي وتحدث إليّ مصدومًا:

ـ هل مازلت نائمًا مُنذُ أمس؟!.

صعقني حديثه، لقد ضيع عليّ حُضن (أريان) دفء حُضن (إرينا) والليلة بأكملها، أشرت إليه بالدخول وأنا أتثاءب فتابع بلهجةً حازمة:

ـ أسرع في ارتداء ملابسك فالقضية خطيرةً حقًا سوف أُعلمك بالتفاصيل التي اكتشفناها بعد أن نوصل (أريان) لمنزلي ليبقي مع زوجتي وابنتي.

استدرت إليه في دهشةٍ وسألته:

ـ لما تأخُذ أريان، هل أعلمتكم (إرينا) بأنها لن تكون متواجدة اليوم؟!.

لم أفهم لما صُعق من سؤالي له وبدا مُضطربًا للغاية في إجابته وكانت:

ـ نعم، لقد أعلمت زوجتي بأنها ستزور صديقةً لهم وستعود لتصحبه من منزلنا.

ـ لكنها لم تُخبرني بذلك؟!.

ـ لم تُريد إيقاظك من نومك ولذلك جئت لأوقظك فأسرع لنتحرك.

أسرعت في تبديل ملابسي وحمل (أريان) لسيارة بوشينكو ولم نتحدث طوال الطريق، فكان صمت صديقي أبلغ الرسائل المُحذرة ليّ بأن القضية خطيرة بشكلٍ كبير، نظرت إليه بعد إيصال(أريان) لمنزله وسألتهُ فور تحركنا بالسيارة:

ـ إذًا ما الأمر وما الخطير بالقضية؟! .

تحدث بنبرةً ملئها الصدمة:

ـ إن هذا الشيطان بحوزتنا يؤكد أنهُ قتل ثلاثة وستون شخصًا! ، ويُصر على ذلك وأعطانا أماكن تواجد أدوات الجريمة و أماكن بعض الجُثث، لكنهُ أصر على الحديث معك وقررت أنا والرئيس (ميخائيل) بوجوب تحقيقك معه فلن يُخرج أحدنا منه مقدار ما سوف تُخرج منه، نُريد أن نفهم لما فعل كُل ذلك ولما قتل هذا العدد من البشر والتلذُذ بتعذيبهم والتمثيل بجثثهم بهذا الشكل البشع! ، فور أن أوصلك سوف أتوجه مع الزملاء لتفتيش منزله وجمع الأدلة وموافاتك بالجديد أول بأول.

زفرت بضيقٍ بالغ وأجبته:

ـ يا لهُ من يومٍ عصيب، بالتأكيد كان عليّ التوقع بأنهُ نهارٍ سيئ ألا يكفي أنهُ لم يبدأ بوجه (إرينا)؛ أسرع حتى انتهي من تلك القضية وأعود لرؤيتها سريعًا.

نظر إلي نظرةً عجيبة لم أفهمها منهُ وأردف في أسى:

ـ هل كُنت تُحبها إلى تلك الدرجة يا رفيقِ؟!.

ـ كُنت؟! ؛ إن قلبي لا يخفق إلا لعلمه أنهُ يُبقيني لجوارها يا رفيقِ، لو تضررت ولو بنوبة برد تُظلم الحياة وتضطرب نفسي وتحتضر وتُمسي على شفا الموت؛ هذا هو الحب يا صديقي فأنا أحيَّ بها ولها.

صعقني بكاءه فلم أفهم ما المُبكي في حديثي، يبدو أني قد جرحته فهو يُعاني بعض المشاكل مع زوجته بأخر الأيام ويبدو أني لم أنتبه لحديثي، ربت على كتفه وأردفت في حنو:

ـ أعتذر يا صديقي، لم أقصد أن أذي مشاعرك، تقبل اعتذاري.

صرخ في وهو ينتحب:

ـ تقبل أنت اعتذاري واعتذارنا جميعًا لك، فنحنُ لا نستحق لا صداقتك ولا وجود قلبك الطاهر هذا بيننا، الحق جميعُنا أخبث من هذا الشيطان الذي ينتظرك بالأعلى لتُحقق معه.

لم أتفهم كلِماته مُطلقًا، بيد ليّ أنِ حقًا قد ألمته وعليّ الانصراف الآن لعملي بسُرعة و تنفيذ مُهمتي المطلوبة.

* * * * * * * * *

صورة وفستان ..

إندفعتُ بسيارتي تجاه موقع شقة هذا المُختل المدعو (ألكسندر) بعد إيصالي (ديمتري) إلى مقر الدائرة للتحقيق مع هذا الشيطان وانتزاع ما بداخله من حقد، وحدهُ فينا لهُ تلك القُدرة على انتزاع الاعترافات من أخبث المُجرمين، وصلت أخيرًا للعنوان وكان قد سبقني جمع ضُباط الدائرة والمُحققين وقد أُغلق الشارع تمامًا ، صففتُ سيارتي وتوجهت لأعلى فصعقني هول ما رأيت بداخل تلك الشقة، جدارًا كامل يحمل صورًا للضحايا وقُصاصات من الجرائد اليومية أسفل كُل صورة تحمل تاريخ وخبر الوفاة، لم أُدقق في كامل الضحايا فور رؤيتي لجدار الموت فلقد شدهتني رؤية تلك الرقعة للُعبة الشطرنج، كانت تحمل أرقامًا مواضع كُل نقلة! ، بدايةً من الرقم واحد حتى الرقم ثلاثة وستون! ، يبدوا أن هذا اللعين حقاً قد قتل هذا العدد من البشر، انهمك الجميع في البحث عن الأدلة وعثُرنا على مُسدسٍ و مطرقةً كان يستخدمها القاتل، توجهت تجاه جدار الصور وبدأت أتحرك عليه بعيني من أعلى لأسفل حتى صعقتني إحدى الصور، انفتحت عيناي على اتساعها من هول ما أرى؛ لم ينتزعني من الصدمة سوى

صرخة أحد ضباط دائرتنا وهرولته تجاهي يحمل بيدهُ فستانٌ زهري اللون مُلطخٌ بالدماء وصورةً فوتوغرافية قائلاً:

ـ (إرينا) وتلك صورة (ديمتري)؛ لقد قتلها الشيطان.

استدرت إليه والفزع يفتكُ بروحي وعقلي هربت صرختي رغمًا عني وأنا أهرول للحاق برفيق عُمري وهو يُحقق مع قاتل معشوقته دون أن يدري وكانت صرختي وكلمتي الوحيدة:

ـ آهٍ يا ديمتري.

****

.. لُعبة الموت ..

.. ربُ اللعبة ..

تقدمت إلى داخل غُرفة التحقيق في ثبات، وكان هذا الشيطانُ الماكر يجلس في انتظاري، جلست أواجهه تفصلُنا الطاولة، وجهتُ إليه نظري وحديثي في نبرةً هادئة:

((أحداث حقيقية))

ـ يبدو أنك تُحب الإثارة يا سيد ألكسندر، لقد علمت أنك تُصر على قتلكَ ثلاثة وستون ضحية! ، ألا ترى أن هذا العدد مُبالغٌ فيه؟! ، فما السبب الذي قد يدفع إنسانٌ لإزهاق مثل هذا الكم من الأرواح في رأيك؟!.

نظر ليّ بتمعُن وأردف في خُبثٍ:

ـ أعلم جيدًا طُرق المُحققين لانتزاع الكلِمات من فمِ أمثالي، أنت لست في حاجةٍ إلى تلك الطُرق معي فأنا من يُريد الإفصاح إليك بما لن أُخبر بهِ غيرك، استمع جيدًا وركز في تفاصيل كلِماتي وفي النهاية سوف أُسرك لمَ وقع عليك اختياري لأُعلمك بكُل شيئًا، فقط أوعدني أنك لن تُقاطعني وسوف تستمع للنهاية.

أدهشتني كلماته وألهبت الحماسة بداخلي فأجبتهُ على عجل:

ـ أعدُك، تحدث فإني مُستمعٌ إليك بعناية.

زفر أنفاسهُ المسمومة كالحيات يلوث الهواء ثم أسهب في سرده:

عُدت إلى منزلي كالعادة بعد إنهاء عملي في أحد المطاعم وتوجهت إلى منزل (فكتوريا) تلك الجميلة التي أعشقُها بجنون مُنذُ عام، أردتُ ترضيتها بعد خصامٍ طال بيننا لأكثر من شهرًا لم نتحدث فيه مُطلقًا، طرقت الباب فقتلني من فتح الباب ليّ، (راسين) صديقي الوحيد هو من فتح ليّ الباب، لم يتحدث أحدنا للأخر تحدثت أعيُننا بما

بارانورمال_ باسم زكي

((أحداث حقيقية))

يكفي، كان واضحًا أن صديقي قد أشعل نيران الدفء بفراش محبوبتي، رحلتُ في صمت أجُر أذناب الخيبة والخذلان، أيامٌ طويلة طُحنت فيها روحي وأنا أتجرع حسرة ومرارة الخيانة، اجتاحت روحي شروخ الألم ولم يعود يُمكن ترميمها، قهرُ الخيانة مُميت وكاسرًا للنفس والأكثر ألمًا منه هو الخيانة المزدوجة للحبيبة والصديق فتلك الخيانة لا تقتُلك بل تنشُر شروخ الألم بكامل روحك لتسلب راحتك ومشاعرك ببطء، أقنعتهم بعد فترة بتجاوزي الأمر وقمت بدعوتهم لأحد الشواطئ الساحلية لتمضية عُطلة وهنالك أغرقتهم، لم أشعُر أبدًا بالذنب لإزهاق أرواحهم النجسة ولم أمُد يدي لإنقاذهم وهُم يمدون أياديهم المُلطخة بدمِ خيانتي.

توهمت أن الأمر انتهى حتى مرت عشرة أعوام على تلك الحادثة وعملت في أحد المطاعم الشهيرة، فكانت تلك هي أسوأ أيام حياتي فلقد عملت مع رجُلاً يظن أنهُ الإله على الأرض، يستعبد العاملين لديه وجرعني مرارة ذُل الفقر والقهر حسراتٍ حتى اختنقت روحي فبادرتهُ في الظلام على باب منزله برصاصةً أرحتُ فيها نفسي من القهر والذل الذي جرعهُ ليّ، فصدقت مقولة قُتل في بلدتنا كلبٌ فاسترحنا من نباحه فخلف الكلب جروٌ وكان الجرو ألعن من أباهُ! ؛ فلم أجد بيدي حيلةً سوى مباغتته في منزله وقتله، وكان في منزل هذا الشاب رقعة شطرنج بديعة الجمال يصطف عليها الجيشين الزجاجيين، تلك الرقعة تُمثل عالمٍ كامل هو أشبهُ بعالمنا هذا، نتطاحن فيه

((أحداث حقيقية))

ونُهلك أنفسنا بينما نحنُ ننفذ خُطة لاعبٍ يُحركنا على الأرض طبقًا لخططه، فقررت أن أكون رب تلك الرُقعة وأنِ لن أسمح بأن أكون مُجرد بيدقًا في جيشٍ يُحركه غيري، أسقطت الجيشين الزجاجيين بيدي وحملت رقعة لُعبتي الجديدة، وبدأت لُعبة الموت الخاصة بي فأنا الربُ الآن ومُخططي هو ما يتم تنفيذه، وقررت أن أختُم تلك اللعبة ومع كُل موضع نقلةً أضع روحًا بشرية، فأصبحتُ أتلذذ باستدراجِ الضحايا لتناول خمرُ (الفودكا) بمتنزه بيتسفسكاي وتهشيم رؤوسهم بمطرقتي لأُخلصهم من العبودية، كان ذلك في الأغلب حتى قادتني الصدفة لأخر ضحية مُنذُ ثلاثة أشهُر، كانت امرأة جميلة وأم لطفلٍ بديع وقعت عيني عليها مرتين بالمتنزه، عاملتني هي وطفلُها بلُطفٍ بالغ فلما وجدتها بالمتنزه بأخر النهار مع بدء نزول ستائر الليل تجلس وحدها جاورتها الجلوس وحدثتُها باسمًا:

ــ أرى أنكِ وحدك فأين ابنُك هذا الطفلُ الجميل؟!.

نظرت ليّ بأعيُن دامعة وأجابتني بحُزن:

ــ تركتهُ لدى صديقة لي فزوجي بعمله وكان اليوم موعدي مع طبيبِ فلم أُريد أن أصحبهُ معي.

ــ لما البكاء، فلم أرى الحُزن بعينيكِ قبل اليوم يا سيدتي ؟!.

((أحداث حقيقية))

ـ لقد أعلمني الطبيب بمرضي بسرطان الدم، وأن حياتي ستنتهي خلال أشهُر معدودةً، كيف أسعد أو أتذوق الراحة وأنا أعلم أن الموت قادمٌ ليّ، لو أنِ قُتلت الآن لكان ذلك أفضل لي ولأُسرتي من رؤيتي أتعذب أمامهم وأقتُلهم بأوجاع الخوف من فقدي كُل يوم.

انتهت من كلِماتها وأخرجت من حقيبتها صورةً فوتوغرافية لزوجها وتابعت حديثها:

ـ أعلم أنك لن تتمكن من العيش بدونِ بسهولة ولكنِ راحلةً مُرغمة فهو القدر، تمسك بالحياة من أجل روحي التي معك، تمسك بالحياة من أجل ابننا فهو مزيج روحي وروحك ونتاج عشقنا.

لم أتمالك نفسي من الألم على تلك السيدة المُحبة، فتحتم عليّ تخليصها من ألمها سحبتُ مطرقتي من جواري وهويت بها على جُمجمتها فتهشمت من ضربتي وحفرت الضربة برأسها ثُقبًا كبيرًا، غُمرت الأرض بدمائها الملوثة بسرطان العشق، بالتأكيد كانت تلك المرأة عاهرةً يومًا ما تخون ذلك المغفل وتدعي العفة وهي على أعتاب الموت، سوف نلتقي بالجحيم جميعنا فالجميع كاذبٌ بائس خالد في الجحيم لا محالة، ارتشفت حتى ارتويت من زجاجة الفودكا وجلست لجوار جثتها، نظرت لموضعًا أضع به زجاجة خمري فلم أجد أفضل من ثقب رأسها، وضعت بها الزجاجة وبقيت

((أحداث حقيقية))

أحتسي خمري حتى منتصف الليل ثُم دفنتها بعد أن احتفظت لنفسي بفستانها وصورة زوجها.

انتهى من حديثه الشيطاني وصب عليّ جحيمُ نظراته الخبيثة وهو يضحك بجنون وتابع بلهجةً أكثر خُبُثًا:

ـ الآن لك الحق أن تعرف لما اخترتُك لأفصح لك عن كُل شيئًا، لأنك الضحية رقم أربعة وستون وأنت من سيقتُل نفسه بنفسه ويُكمل مخططي ولُعبتي ويُحقق مشيئتي فلقد ادخرتُ روحك لتختم عملي؛ فأنت يا عزيزي المغفل بالصورة الفوتوغرافية و القتيلة العاهرة هي زوجتك، تستطيع أن تتأكد بنفسك فلقد قبرتُها بمتنزه بيتسفسكاي و فستانها وصورتك بشقتي.

انتفضت مصعوقًا بألاف الرعدات من القهر تجاهه أُطبق على عُنقه بيدي وأنا أصرُخ فيه بجنون:

ـ أنت كاذب فزوجتي ذهبت لقضاء أمرًا وستعود، هي لم تُقتل وأنت لم تلمسها وسوف أقتُلك حتى لا تقربها.

اندفع من الباب بجنونٍ رجال دائرتنا يجاهدون تخليص عُنقه من قبضتي حتى وصل أخيرًا (بوشينكو) اندفع إليّ يحتضنني بصدره وينتحب باكيًا، نظرت لهُ مترجيًا وأنا أصرُخ فيه:

ـ أخبرهُ يا بوشينكو أن إرينا تحدثت إلى زوجتك صباح اليوم كما أخبرتني وأنها ستعود، أخبره أني أعشقها وأني لا يمكن أن أفقدها ، أخبرني أنهُ لم يلمس زوجتي ومعشوقتي بسوء، أخبرني أرجوك يا صديقي .

انفجرت عيوني دمعًا لإجابة أعيون رفيقي، نظرةً واحدةً منهُ أعلمتني أن هذا الشيطان لم يكذب، لقد ضيعتُ روحي وسلبها مني هذا الشيطان، لقد سلب روحي وأنفاسي فلم أعُد أرى شيئًا، أظلم الكون فجأة وخانتني قواي ولم تعُد تحملني أقدامي فوجب عليّ السقوط .

****

.. بعد ثلاثة أشهُر..

.. مقبرة العشق ..

تحركنا للخارج أُمسك بيد (أريان) فوجدنا (بوشينكو) يتكئ بمؤخرته على سيارتي ينتظرنا أمام المقابر، اقتربنا منه فهرول تجاهه (أريان) ليحتضنهُ رفيقي ويطلب منهُ

الجلوس بداخل السيارة لدقائق حتى يتحدث معي ونذهب لمنزله ليلعب مع ابنة صديقي التي تنتظره، دلف أريان لداخل السيارة وأغلق بوشينكو عليه الباب ونظر إليّ بفخرٍ عجيب وأردف في لهجة تُشبه نظرته:

ــ طالما أدهشتني يا رفيقي، لا أعلم كيف خرجت من غيبوبتك التي أكد الأطباء أنها ستطول في غضون شهرين فقط؟! ، بل وخرجت منها أقوى من ما توقعت، هل لك أن تُخبرني سرك الآن.

أومأت برأسي أسفًا وأجبته:

ــ أُقسم لك أن من أعادني هو (إرينا) كما أخبرتك كُل ما حدث طوال مدة الغيبوبة هو حُلمٌ واحد كانت تزورني فيه كُل يوم وتخبرني أن انهض من أجل ابننا فإن روحي تتمزق من أجلكم فنهضت، وأما عن التغيير فإن هذا الشيطان ظن أنهُ الرب وتناسى أن الرب بالسماء يملكُ الجميع وهو عادل وأثق أنهُ أفسح ل (إرينا) مكانً بديعًا بجنة رحمته، وعليّ تقبُل قدره بالفراق حتى يأتي قدره بتجدُد اللقاء؛ هذا هو كل ما في الأمر.

ألقيتُ كلِماتي واستدرت تجاه باب القيادة فعاد للحديث قبل فتحي باب السيارة:

ــ جئتُ اليوم لسببين أولهم أن أصحبكم لمنزلي، والثاني أن أُعلمك أن (ألكسندر) حُكم عليه اليوم بالسجن مدى الحياة.

أومأت برأسي إيجابًا وأجبتهُ:

ـ هل أعلمته أنِ حيٌّ كما طلبت منك وأنِ عائدًا لعملي قريبًا.

ـ نعم أعلمته.

ـ ذكرني أن نزوره بمحبسه، فأُريده أن يتأكد أنهُ ليس أكثر من شيطانٍ سيقبع في جحيم الرب دُنيا وأخرةً.

*** * * * * * * * * ***

تمت

٨

النمرود

" أنا أول من مارس السحرِ على الأرضِ وأول من اتصل بالجن وحكم الشياطين أنا ملك ملوكِ الأرض وأول من يضعِ التاج على رأسه بل أنا ربُّ الأرباب!؛ ضعوا التاج فنحن مُلوكِ الأرض وحُكامها"

.. ذبحُ إسماعيل ..

.. تضحية ..

تحسس خُطواته بتأدبٍ بالغ كعادته فلم أنتبه لوجوده وأنا في حالتي من الشرود في فضاء تلك الصحراء المُمتدة بلانهاية، أعادني إلى الحياة همسُ صوته الرقراق بسؤاله ليّ :

ــ كيف حالُكَ يا أبتِ؟.

ما أن وقعت عيني عليه حتى سُرت نفسي وحرت في شرايين روحي السعادة، تذكرت تلك الأيام الصعبة التي راودني فيها حُلم ذبح أول أولادي وتيقنتُ أنهُ أمر ربي وما عليّ سوى الطاعة والتضحية من أجله، إن الله غيور ولا يقبل بمُشاركة مكانته في قلب إنسانٍ لأخر فكيف حدث ذلك مني وأنا نبي الله وخليله! ، تعلقت رغمًا عني بعشقه حتى أصابني الوله فيه، فهو أول أبنائي وهو مُباركًا من الله، لقد أمرني الله بتركه وترك أمه(هاجر) في الصحراء وحدهم وهو رضيع فلبيت وأطعت بثقةً ويقين في حُكمه، فلما صرخ جوعًا وعطشًا وصارت (هاجر) تهرول بين الجبلين أشواطًا تجأر في فزع على وحيدها إلى الله فجرّ الله بئر زمزم تحت أقدامه، إن الله يرعاه مُنذُ أن كان رضيعًا فكيف يأتي اليوم الذي يأتيني فيه أمر الله بذبحه! ، أصابت روحي الألم فطلبته للحديث،

((أحداث حقيقية))

أتى بتأدُب مُشرق الوجه كشمسٌ أضاءت روحي وما حولها فنظرت له وأردفتُ لهُ بنبرةً كالغروب:

ـ يا بُني إنِ أرى في المنامِ أنِ أذبحُك؟!، فانظر ماذا ترى؟.

ابتسم مُشرق الوجه مُنير الثغر وأردف في ثبات وهو يربتُ على يدي:

ـ يا أبتِ أفعل ما تُؤمرُ ستجدُنيّ إن شاء الله من الصابرين.

التفتُ إليه باسمًا وأجبته وأنا أربتُ على كتفه برفق:

ـ أحمدُ الله يا بُني كثيرًا على حالي، فأنعم عليّ بكرمه حتى فاض كرمهُ طاقة شُكري إليه، فأنت يا (إسماعيل) من أجملِ وأثمن نعم الله عليّ وأشكُر الله أن وهبك ليّ ولدًا فكُنت أول أبنائي وأشكُره لأنك نعمَ العون والمدد ليّ في صبرك وطاعتك لأمرُ الله يوم جاء الأمرُ بذبحِكَ، فإني بنعمةً كبيرة يا ولدي من الله لا يسعني شُكره عليها.

خجل وأطرق برأسهِ تأدُبًا كعادته كُلما سمع كلِمات الثناء تجاهه، ثُم رفع رأسه وسألني في قلق :

ـ يا أبتِ إني قلقٌ عليك للغاية فلقد صرت تشرُد كثيرًا بنظرك تجاه الصحراء وتصمُت بالساعات في جلساتك تلك والآن رأيت من حالِكَ ما أقلقني، رأيتُك تدمع العين بأسى ثُم تبتسم برضا، فما الأمر الذي يشغلُك لهذا الحد ويؤرق راحتك؟!.

هربت دموع الفراق من عيني رغمًا عني وأجبته بحُزن:

((أحداث حقيقية))

ـ إنهُ الفراق يا ولدي، إن نفسي تشتاق لوطني وأرضي بعد خروجي منها.

مسح دمعي بيده الرقيقة وربت على يديّ برفق وأجابني وهو راكعًا على رُكبتيه أمامي يواجهني بنبرته الحنون المُطمئنة:

ـ هدئ نفسك يا خليل الله، فما أخرجك الله من أرضك إلا لتُتم رسالتك وأنت تعلم ذلك، أعلمُ أن الفراق مُرّ لكن حلاوة رضا الله وأنت نبي الله وخليلهُ تُحلي كُل مُرّ، فإن كانت دمعتك التي رأيت للفراق فما سببُ ابتسامة الرضا؟.

ابتسمت بقوة لحديثه فإن لهُ طريقةً بديعة في تبديل الحزن للسعادة طالما أسرني بها، لهُ طريقةً تُعجز من أمامه عن رفض أي طلبٍ له فأجبتهُ مُبتسمًا:

ـ سأُعلمك بسببها لكن ليس قبل أن أسرُد لك عن وطن أبيك الذي أُخرج منه.

* * * * * * * * * * * * * * * * * *

.. النمرود ..

.. تاج المُلك ..

.. برج بابل ..

.. الوطن ..

اندفع الخبر بمقتل الملك(كوش) وتولي خلفه(النمرود) يشُق صمت وسكون بابل ويقُض مضاجع أهلها وأهلُ من حولها من المدن والبلاد، هذا النمرود هو لعنة الأرض بأكملها مئات القصص تُسرد عن ولعه بالنساء والقتل وزاد الأمر جنونًا حينما شاع في المدينة أمر اتصاله بالجن والشياطين وملوكهم! ، وأنهُ يُقدم إليهم قرابينٌ بشرية! ، ولم يغفل عن ذكرهم يوم توليه الحُكم وهو يصطنع لنفسه (تاج الملك)! ، وكان يحملهُ أكبر الكهنة على يديه، وقف متفاخرًا بقاعة الحكم أمام عرشه وصرخ في الجمع أمامه بغطرسة قائلاً :

ــ أنا أول من مارس السحرِ على الأرضِ وأول من اتصل بالجن وحكم الشياطين أنا ملك ملوكِ الأرض وأول من يضعِ التاج على رأسه بل أنا ربُ الأرباب! ؛ ضعوا التاج فنحن مُلوكِ الأرض وحُكامها! .

لم يتوقف جنونه إجحافه على الله عند هذا الحد ولم تتوقف شياطينه عن العبث برأسه وتضليله ودفعه لنشر الظُلم والفساد والكُفر في كامل بقاع الأرض ، اندفعت

((أحداث حقيقية))

جيوش النمرود تقُض المضاجع الآمنة لكامل الممالك حولنا، وعاثت جنوده فسادًا في أرض بابل وما حولها وكُل أرضٍ كانت تصل إليها أقدام جند الشيطان، حتى أتى اليوم الذي جُن فيه جنونه وأمر بذبحِ كُل صبيٍ ذكر يولد في بابل بأحد الأعوام على أثر هذا الحلم الشيطاني الذي راوده لينتزعهُ من نومه فزِعًا، اندفع إلى قاعة الحُكم بهذا البُرج الذي بناهُ لهُ آلاف العبيد من البشر والجن والشياطين ليكُن أحد أعجب المباني التي عرفتها بابل بل والأرض بأكملها، بُرجٌ دائري شاهقُ الارتفاع حصينٌ للغاية، لهُ طرازًا معماري فريد من نوعه ويعُج بالتماثيل الغريبة والمنحوتةَ بدقة، جلس على عرشه الشيطاني وصرخ في طلب الكهنة والمنجمون ليهرول الجميع فزعين من غضبة ربهم عليهم! ، طأطأ الجميع رأسه أمامه في ذُل وقهر وتحدث كبير الكهنة بصوتٍ مُرتعد من الخوف:

ـ رهنُ أمرك يا ربُ الأرباب وملك الملوك.

نهض من عرشه وتحدث في غضبٍ جنوني:

ـ لقد رأيتُ في منامي كوكبٍ يولد من العدم في السماء وظل يكبُر ويلتهم الشمس حتى طمس نورها، فما تأويل منامي؟!.

ارتعد كبير الكهنة فزعًا وتلعثم بحديثه فلم يفهم النمرود من حديثهُ شيئًا، اندفع تجاهه وأطبق على عُنقه بقبضته وصرخ في وجهه بجنون:

بارانورمال_باسم زكي

((أحداث حقيقية))

ــ ما تأويل منامي أيُها الكلب، تحدث قبل أن أقتلع رأسك بيدي.

خرجت كلِماته بصعوبة وهو يتمزق ألمًا من قبضة النمرود على عُنقه:

ــ يولد غلام هذا العام وبميلاده ينتهي مُلككَ.

دفعهُ أرضًا يُبعده عن ناظره وصرخ بجنون:

ــ ومن هذا الغلام الذي يُبدد مُلكِ بميلاده أيُها اللعين؟!.

ألقى كلِماته وهو يحرق الكهنة والمنجمون بنظراته الشيطانية، ارتقى عرشه وتابع حديثهُ:

ــ أنا ملك الملوك وربُ الأرباب ولا يُبدد حُكمي ومُلكِ أحدًا.

صمت للحظات ثُم تابع صُراخه الجنوني بطلاسم السحر فتبدلت عيناهُ للسواد الكامل وصرخ لقائد جُنده بنبرةً خشنة للغاية أمرًا:

ــ فلتذبح كُل طفلٍ ذكر ولدَ وسوف يولد في بابل وما حولها هذا العام، فلا ربُ للأرض غيري!.

وكان ميلادي في هذا العام وأخفتني أمي عن أعيُن جنوده التي انتشرت تذبح الأطفال الأبرياء بلا جريرةَ ولا ذنبٍ سوى جنون هذا (النمرود) وشبقهُ للمُلك والشر.

****

.. آزَرَ ..

.. هذا ربي ..

.. نارِ إبراهيم الباردة ..

هزرت رأسي بشدة من تلك الذكريات المريرة عن هذا الملعون الذي يحكُم أرضنا، كيف لهُ أن يدعي أنهُ إله وهو بشرًا مثلنا؟!، أسرعت الخُطى تجاه مكان عمل أبي فهو يعمل بصناعة تماثيل الآلهة البابلية، دلفتُ إلى داخل المعبد الذي يعمل به وفتشتُ بعيني مرارًا في تلك التماثيل الصماء وتساءلت كيف أعبُدُ ما يصنعهُ أبي بيده؟!، أليس الأجدر بالعبادة هو أبي وهو الصانع؟!، إذًا أليس الأجدر بالعبادة هو صانع أبي وصانعي وصانع الكون بأكمله؟؛ قطع شرُدي وصول أبي وسؤاله ليّ:

ــ متى أتيت يا إبراهيم؟!.

ــ الآن يا أبي.

((أحداث حقيقية))

ـ هيا انحنى للنمرود فلقد انتهيت منهُ الآن أترى هو أكبر الآلهة حجمًا، لقد جعلتهُ عظيمًا حتى تركع لهُ فلم تقبل الركوع لهم من قبل بحجة صغرهم، فها قد جعلتهُ أعظمهم فلتركع.

أومأت برأسي رفضًا وأجبتهُ بقوة:

ـ لم ولن أركع لما تصنعهُ بيدك يا أبي، ولا أمل لك ولا لقومنا من عبادة تلك الأصنام الصماء عديمة الفائدة.

تجمع حولي كُل من بالمعبد في ذهول وصرخ في أحد الكهنة:

ـ أنت تكفُر بآلهتنا وبالإله الأعظم النمرود يا ابن (آزَرَ)؟!.

أجبتهُ بقوة:

ـ أتُريدني أن أتخذ الأصنام آلهةً مثل أبي إني لأراه وأراكم في ضلالٍ مُبين وما كُنت لأتبع ضلالكم وأعبُد تلك الأصنام التي لا تملِكُ لنفسها ضرًا ولا نفعا.

انتهيت من كلِماتي ورحلت عنهم أسير بلا هدف حتى جنَّ عليّ الليل فرفعتُ هامتي للسماء فرأيتهُ كان كوكبًا عظيمًا فقلت هذا ربي فهو عظيمًا وكبيرًا وجلست أترقبه حتى أفل!، كيف للربُ أن يأفل إنِ لا أُحب الآفلين؟!؛ حتى بزغ القمر فقُلت هذا ربي فهو أكبر وأبهى في نوره حتى أفل فتكرر سؤالي برأسي وزُهدي فيه وبدأ اليأس يتسرب لقلبي فإن لم يهديني ربي إليه لأكونن مع قومي من الضالين؛ فبزغت الشمس

((أحداث حقيقية))

فقلت هذا ربي فهو الأكبر والأقوى فلما أفل علمتُ أن ربي أكبر من الكل وأعلى فهو خالق كُل الكون وصرخت مُجاهدًا في أبي وقومي أنِ برئً مما يشركون؛ إنِ وليت وجهي للذي خلق السماوات والأرض وما أعبد ما تعبدون؛ فُتحت أبواب جحيم النمرود تجاهي ولم أعُد أجزع من جنوده وهم يقودونني إليه في برجه بعد أن كسرت أصنام المعبد يوم العيد ووضعت المعول على كتف صنم النمرود ليُجن جنون الجميع لفعلي وينقطع عني ممدُ أهلي،لم يعُد يعنيني مدد أحدًا فلقد أمدني الله بنبوته ودعوته وألهمني طريق الرشاد وما كُنتُ لأضل أبدًا طالما الله ربي، وصلت إلى قاعة حُكم النمرود وكان يجلس على عرشه وتصطف حاشيته على يمين ويسار القاعة فأوقفني الحراس أمامه، وقفتُ رافعًا هامتي فهي لا تنحني إلا لله فنظر إلي بقوة وأردف سائلاً:

ــ علمتُ أنكَ تُنكر عليّ كونِ إلهُ الأرض وتدعو لإلهٌ غيري فمن هو إلهك؟!.

أجبتهُ بيقين وقوة:

ــ إلهي يُحيي ويُميت.

أومأ برأسه إيجابًا وأجابني:

ــ أنا أُحيي وأُميت، فإن أمرت بقتل هذا فأنا أمتهُ وإن أمرت بتركه فلقد أحييته، فهل أنا إلهك الآن؟.

ابتسمتُ ساخرًا من جهله وأجبته بثقة:

ـ إن ربي يأتي بالشمس من المشرق وهي أمامك الآن فل تأتي بها من المغرب.

انتفض واقفًا غاضبًا في جنون وهو يصرُخ:

ـ أعدوا محرقةً عظيمة أُريد لعظمة نيرانها أن يقع الطير المُحلق فوقها محروقًا لأحرق فيها (إبراهيم) ابن (آزَرَ) وليُرينا كيف سيُنجيه إلهةُ مني ومن نارِ.

حُشر أهل بابل لمشاهدة النار وحرقِ بها وكان نصرُ الله ليّ عزيزًا وبهت النمرود وجاء أمر الله بالخروج من أرضِ، فرحلت إلى هنا كما أمرني الله وهلك النمرود وجيشه وأتباعه بجيشٍ من البعوض سيرهُ الله لهم فأكل لحمهم أما النمرود فذاق عذاب الدنيا قبل الآخرة فلقد دخلت بعوضة لرأسه تلتهم عقله من أنفه، فلا تتوقف ولا يتوقف ألمه حتى يضربُ رأسهُ بالنعال حتى أهلكته فكانت تلك عاقبة ذنبه ونهاية كُفره وشره.

****

تمت

٩

جيش الدم

ستالينجراد

" عن أي ربٍّ يتحدث هؤلاء الكاذبون ويدّعون أن لنا الأفضلية على اليهود أو غيرهم!، هل لو كان المسيحُ حيًا كان ليقبل بما أرى!؛ اللعنة عليّ وعلى الجميع فإن الدمُ الذي أُريق وسيُراق هُنا لن يغفرهُ الربُّ أبدًا."

.. الفيرماخت ..

.. جنون الدم ..

.. بيلاجا تزيركوف ..

.. الفرقة إس إس ٤ أي..

زحفَ جنود الفرقة الخاصة (أس أس ٤ أي) وهي أشرس فرقُ الجيش الألماني تجاه تلك المدينة الأوكرانية (بيلاجا تزيركوف) في شبقٍ للدمِ والقتل، حُشد الجيش السادس الألماني بأكمله للمعركة في الشرق، جُن جنون الزعيم(هتلر) تجاه (ستالين) وتحول الأمر بشكلٍ مُفاجئ لصراع إثبات وجود وإعتبار، أصدر هتلر الأمر بالزحف تجاه الشرق ووجوب إحتلال (ستالينجراد) تلك المدينة السوفيتية تحولت فجأة لمعركة حياة أو موت بالنسبة لهتلر!.

لم تكون أهمية تلك المدينة لكونها المدينة الصناعية الأهم للدولة السوفيتية أو لأن بها أهم وأكبر مصانع دباباتهم وآلياتهم العسكرية أو لموقعها المتحكم بنهر (الفولجا) وهو أكبر أنهار أوروبا ويفصلُها عن آسيا ويُقال أنهُ يعكس الدولة السوفيتية بأكملِها، إنما الأهمية الأكبر لها كانت أنها تحمل اسم (ستالين) زعيم الدولة السوفيتية ويجب

((أحداث حقيقية))

إحتلال المدينة التي تحمل إسمه مهما كانت التضحيات!؛ كان ذلك هو الذريعة لقرار(هتلر) وتضحيته بنا في مذبحةِ (ستالينجراد) أثناء بحثه المجنون الداميّ عن العظمة

قاطعني الضابط بغضبٍ شديد وأجابني المُترجم مُفسرًا لحديثه:

ـ نحنُ نعلم ذلك جيدًا أخبرنا ما تعرفه مُنذُ زحف الجيش النازي تجاه أرضنا.

شعُرت بالخوف الحقيقي من هولِ ما سوف أسرُده على هؤلاء المُحققين الغاضبين، فما عساي أن أفعل الآن بعد أن تركنا هتلر وغرر بنا (جوبلز) هذا الشيطان الماكر الذي ينعق بإعلامه الكاذب يُضلل هذا الشعب ويهِمُنا أننا ملائكةً على حق بينما الحقيقة التي رأيتها أننا شياطينِ الباطل، لم يعُد لدي خيار سوى أن أُفصح بكامل الحقيقة، إلتقطُ أنفاسي تابعت حديثي لهم.

صدر الأمر بالزحف للجيش السادس بالكامل وكُنت أحد ضُباطه، تحركنا في تكتُلاتٍ ضخمة من المدرعات والدبابات تحت الغطاء الجوي الألماني، حتى دخلنا إلى (أوكرانيا) وكان الأمر عجيبًا لي، لم نجد جيشًا نُقاتله بل وجدنا المدنيين وبعض المقاومة المُسلحة، فكان القتل نصيبُ كُل من إلتقيناه فلقد كانت فرقة(إس إس ٤أي) تتولى التصفيات، حُشر الجيش الساس بشحنٍ معنوي أننا أفضل من السوفييت واليهود وأنهم حُثالة يجبُ إفنائهم، كان القتل وتمزيقُ أشلاء الجميع هو السمة السائدة في تلك المرحلة، ثُم إحراق كامل الحقول والمباني التي إلتقيناها في طريقنا، لم أكون في الصفوف الأولى التي إشتركت في تلك المذبحة، بل رأيتها بعد أن انتهت وأنا على دبابتي، كان المشهد لتلك القرية مُذري للغاية.

باranormal_باسم زكي

((أحداث حقيقية))

بقايا لمباني تحترق وجُثثًا مُتقحمة تطحن عظامها وبقايها جنازير الدبابات الصُلبة، لم تترُك تلك الفرقة الملعونة أحدًا حيَّ، لم أُحب تلك الفرقة يومًا أو ضُباطها فهم شياطين الموت ولا ينتمون لعالم البشر، لاوجود للرحمة في قلبِ أحدهم فجميعهم يملكُ شبقٌ غير حدود للدمِ والقتل.

وصلنا أخيرًا إلى قرية تُطلق عليها(بيلاجا تزيركوف) للإستراحة، بلدةً مُسالمة لا وجود فيها لأي مقاومة ولكن ذلك لم يُقف شبق تلك الفرقة الشيطانية عن جموحها أو يردع شبقها للقتل، بدأت أترقب أفعالهم بعناية فائقة، شعرت أن الغضب والحقد بداخلي تجاههم أوشك على الإنفجار، بدأوا تفتيش البلدة بحثًا عن اليهود، تم جمع كامل رجال اليهود وذبحهم بدمٍ بارد، قُتل جميع الرجال بعد أن إنتزعوهم من ذويهم بذريعة تأدية الأعمال للجيش الألماني، وعلى مشارف البلدة صُف الرجال وأُطلقت النيران على البعض والبعض الأخر ذُبح ذبح البعير، أصابتني القشعريرة وأصابني الغثيان لأُفرغ ما بها من هولِ ما أرى، كان الجميع يترجى ويتضرع لتلك الفرقة الملعونة طالبًا الرحمة ولم يُرحم، عامت الجُثث في الدماء على شفا تلك الحُفرة التي حفروها بأيديهم دون أن يعلم أحدهم أنها مقبرتهم!، أبقت تلك الشياطين على عددٍ صغير من رجال اليهود لدفن جثث أصدقائهم في تلك الحفرة وفور إنتهائهم من الدفن شُنِقوا جميعًا وتم عليق جُثثهم على الأشجار في فظاعةً وفظاظة لم أخيلها يومًا، طالما سمعتُ عن جرائم تلك الفرقة لكنِ لم أتخيل أنهم

((أحداث حقيقية))

بتلك الوضاعة، شاهدني أحد ضُباطهم وأنا أتألم من النظر وأقبض بيدي على معدتي فإندفع تجاهي سائلاً :

ـ هل أنت بخير أيُها الضابط؟!.

نظرت لهُ بإشمئزاز وأنا أركعُ على رُكبتي وأقبض على معدتي وصرختُ فيه:

ـ لما قتلتموهم وماذا فعلوا؟!، ولما شنقتم تلك الزُمرة منهم إنكم شياطين لا ترحم؟!.

تعالت ضحكاته بشكلٍ جنوني وأجابني بهدوءٍ وصرامة بعد أن توقف عن الضحك فجأة :

ـ هؤلاء الفئران لا رحمة لهم، أتدري من أخبرنا عن أماكن هؤلاء الرجال وأُسرهم؟!؛ إنهم تلك الزُمرة ولقد أخبرناهم أنهم سوف ينجون إن أخبرونا عن كل من هو يهودي فقادونا إلى الجميع، ولكِ أضع في قلبِكَ بعضًا من القوة فهم من إقترح أن ندفع هؤلاء الرجال لحفر تلك الحفرة حتى لا نتكبد عناء دفنهم، وتعهدوا هُم بدفنِهم وقد كان ما رأيت؛ أما لما أعدمناهم فذلك لأن من خان أخيه وسلمهُ لعدوه وهو يعلم أننا قاتليه لينجوا بحياته ما هو سوى جرذٌ قاد قط لجُحر عائلته لينجوا من أنيابه فإلتهمهُ القط فور الفراغ من أسرته؛ جميعهم خونة لا يستحقون الحياة.

بالكاد إستطعت العودة لدبابتي ولم تتوقف عيوني عن الدموع، أي جحيمًا يدفعنا إليه هتلر وعن أي فضلٍ لنا يُتاجر به جوبلز وزير إعلامه المُضلل؟!، هل نحنُ حقًا بهذا السوء والإجرام الذي شاهدته أم أنِ أُشاهد كابوسًا مُفزع وسوف أستيقظ منهُ على أمان الحقيقة.

((أحداث حقيقية))

لم يكد ينتهي اليوم حتى انتزعوا النساء والأطفال اليهود من منازلهم تجاه فضاء المدينة وأُجبر الأطفال على رؤية أمهاتهم وهم يصطفون راكعين أرضًا على أقدامهم تتعلق أعيُنهم بأطفالهم وهم تحت براثن جنود فرقة الشيطان أمامهم، لحظات الفزع للأطفال والأمهات مرت على روحي أعوامًا، إنتفاضات الأمهات فزعًا وهُن ينتحبن من هولِ مصيرًا بدا جليًا لهم، صرخات الأطفال الصغار وهم يجأرون(أُمي) في فزعٍ وجنون على نغم رصاص الشيطان وهو يقتُل بإبتسامات هؤلاء الأطفال وأمهاتهم مُعلنًا رحيل الأمن عنهم بلا رجعة كانت قاتلة ليّ، إنفجرت لمُصيبتهم مُقلتي عيني دمعًا وقهرًا من عجزي لإنقاذهم، أيُ ذنبًا اقترفتهُ هؤلاء النساء وهؤلاء الأطفال للمرور بتلك التجربة المُفزعة القاتلة!، اللعنة على الحرب وعلى هتلر وعلى جوبلز وعلى الجميع، عن أي ربٌ يتحدث هؤلاء الكاذبون ويدَعون أن لنا الأفضلية على اليهود أو غيرهم!، هل لو كان المسيحُ حيًا كان ليقبل بما أرى!؛ اللعنة عليّ وعلى الجميع فإن الدمُ الذي أُريق وسيُراق هُنا لن يغفرهُ الربُ أبدًا.

انتهوا من قتل النساء وتم اقتياد الأطفال إلى قبوٍ بالقرية وأُغلق عليهم بلا طعام ولا ماء وكانوا قرابة التسعون طفلاً، اندفعت تجاه الباب بعد رحيل فرقة الشيطان أتسمع أنين هؤلاء الأطفال وهم يصرخون وجعًا إلى الله، كان هُتافهم الوحيد كلمة(أمي) وكان منهم العديد من الرُضع، أي جحيمًا هذا وأي حربٌ تلك التي نخوضها، جاهدت بجنون في محاولات فتح الباب وإخراج هؤلاء الأطفال وفشلت، لمعت الفكرة برأس في إطلاق الرصاص على هذا القفل وإخراج هؤلاء الأطفال، هرولت تجاه دبابتي ومددتُ يدي ألتقم

مُسدسِ فعقني وجود ذات الضابط القاتل للرجال والنساء يواجهني، قطع طريقي وتحدث بنبرةً حازمة:

ـ هل تظن أنِ غافلاً عنك، لن تُنقظ أحدًا منهم ولن تردعني عن قتل تلك الفئران الصغيرة، لن يستطيع أحد منعي أفهمت ذلك.

صرخت فيه غاضبًا:

ـ بل هنالك من يُمكنه ردعك، سأتصل بالمشير (فون رايشنو) قائد الجيش الساس لأخبره بما فعلت وأطلب منهُ ردعك عن هؤلاء الأطفال.

نظر ليّ نظرةً لم أتمكن من تفسيرها مُطلقًا، كانت مزيجًا من الغضب والسخرية والقوة والعظمة والبطش، أجابني بجملة واحدة مُقتضبة:

ـ هيَّ بنا لتتصل بقائد الجيش السادس بأكمله.

أسرعتُ في خطواتي تجاه مكتب الإتصالات وأجريت الإتصال بالقائد فون رايشنو ، أجابني بعد أن تعرف مدير مكتبه على هويتي وموقعي ورتبتي وقام بتحويلي إليه قائلاً :

ـ خيرًا أيها الضابط، ما الأمر الذي يدفعك لمحادثتي؟!.

ـ سيدي القائد، إن قائد فرقة (إس إس٤ أي) أعدم رجال اليهود هُنا بلا ذنب ثم أعدم نسائهم أمام الأطفال الصغار بلاذنب، والآن يسجنُ أطفال صغار قرابة التسعون طفلاً منهم العديد من الرُضع بقبوٍ ببلدة(بيلاجا تزيركوف) وحينما أردتُ منعه أخبرني أنهُ سوف يعدم هؤلاء الأطفال ولن يردعه أحد؛ وأرى في ما فعل إنتهاكًا للقانون والإنسانية ويعد جريمة حربٍ كاملة فكيف لنا أن نقتُل أطفالاً لا ذنب

لهم إلا ديانتهم التي لم يختارونها بعد، لن يرضى عن ما نفعل المسيح ولا القانون ولا الإنسانية سيدي.

شعُرت بصراخه يقتلعُ أُذني من سماعة الهاتف قائلاً:

ــ أجُننت أيُها الضابط، فليُقتل من يُقتل فإن قتل هؤلاء الأطفال (وسيلة) لنشر الفزع والرعب في قلوب أعدائنا، أُحذرك إعتراض طريق الفرقة بل يجب عليك دعمهم متى أرادوا.

قذف صرخات الشيطان في أُذني وأغلق الهاتف في وجهي، أصاب الفزع والقهر نفسي من هولِ ما سمعت، هل حقًا هذا هو مُعتقد وتفكير قائد الجيش السادس؟!؛ تعالت ضحكات ضابط الفرقة أمامي ساخرًا ورحل وهو يتحدث بسخريةٍ :

ــ سوف أعدمُ الفئران الصغيرة بملجأ أيتام البلدة إن أردت المشاهدة عليك إتباعي فورًا.

رحل ورحل معه أخر أمل ليّ في إنقاذ نفسي وإنقاذ ألمانيا بأكملها من دم هؤلاء الأطفال وترسخ بيقيني أننا لن نكسِب تلك الحرب؛ أُعدمت الأطفال وصدر تعميم قائد الجيش السادس (فون رايشنو) بأن الجنود ليسوا مقاتلين فحسب بل مُناصرين لفكرة قومية ثابتة وهي (النازية) وعلى الجميع حمل فكر الزعيم هتلر.

****

.. نهر الفولجا ..

((أحداث حقيقية))

.. العملية الزرقاء ..

.. شتاءٌ قاتل ..

.. فريدريك باولوس ..

.. شميديت ..

رُغم ما قدمه (فون رايشنوا) من خدمات للفوهلر ولبرلين في تلك الحرب الشيطانية وقتله الأطفال واعتبار ذلك وسيلةً، لم يكون كُل ذلك شفيعًا لسيده الذي لا يشبع من الدماء فكان دومًا يطلُب المزيد، صدر القرار بعزله وتعين (فريدريك باولوس) خليفةً له في قرارٍ هو الأغرب لكامل قوات الفيرماخت!، لما استدعاه بعد فصله من الخدمة وتوجيههُ على رأس حملةً عسكرية هي الأضخم في الحرب بأكملها ليقود قواتٍ يزيدُ تعدادُها عن الثلاثة مئة ألف جُندي!، وعشرات الألاف من الدبابات والمركبات العسكرية؟!، لكن ذلك لم يكون القرار الأكثر غرابةً ن الفوهلر فلقد تبعهُ بالقرار الذي رسخ يقين الهزيمة في صفوف جميع القوات المشاركة بالحرب؛ تم تقسيم القوات لممجموعتين اتجه الجيش السابع عشر مدعومًا بالجيش الأول بانزر تجاه حقول نفط القوقاز جنوبًا والجيش السادس الذي أخدُم به مدعومًا بالجيش الرابع بانزر تجاه (ستالينجراد)!؛ أي طفلاً صغير كان ليفهم خطأ القرار ووسعة الفجوة

((أحداث حقيقية))

بين الجيشين وبُعد خطوط الإمدادت كان جليًا في عتمة وظُلمة تلك الحرب الدموية، لكن أعيُن هتلر كان قد أعماها الشبق والشغف للدمِ والقتل واستوحشت بنفسه العظمة حتى ظن أنهُ الرب...

الويل لهتلر ولباولوس هذا القائد الضعيف الهزيل المُتردد، أبشع قرارٍ قد يودي بحياة الملايين هو وضع الحيوات على المحك بين يدي قائدٍ مُتردد ضعيف الشخصية، لم يكون لباولوس قرارٍ واحد طوال الحرب وكان القائد الحقيقي هو الجنرال (شميديت) هذا الرجُل كان أكثر جنونًا من هتلر نفسه، قبِل قرارت هتلر المجنونة بتقسيم الجيوش وأطلق لأقذر أيادي النازية وهي فرقة (إس إس ٤ أي) العنان لإرتكاب أبشع جرائم الحرب، كان القتل عشوائيًا للقرويين الضعفاء وجيوب المقاومة الصغيرة للجيش السوفيتي الذي إنسحب تمامًا من أمامنا يُفسح الطريق لنا لتفتك فرقة الشيطان بكُل من قابلهم، مئات العائلات البسيطة قُتلت بدمٍ بارد، لم يكون يزحف الجيش السادس على الأرض وهو في طريقه لنهر الفولجا بل كان يسبحُ في بحورٍ من الدماء البريئة، تأخرت القوات في وصولِها نتيجة ضعف الإمدادت التموينية من وقود الدبابات والأطعمة وعدم إرتداء الجيش للملابس الشتوية وهو على وشك الوقوع في أشدِ مناطق العالم برودةً.

على بُعد عدةّ كيلو مترات من نهر الفولجا ونحنُ نُعسكر ننتظر الإمدادت أكتشفنا سربًا من (الجمال) فأسرناه لإستخدامه في نقل المعدات الجنود لضعف إمدادت الوقود ليوفر علينا وقتًا كبيرًا.

أيُ جحيمًا أُوسلنا إليه هذا هو ما ظفرت به وأنا أردع جنود فرقة الشيطان عن رجُلٌ قروي كان يتضرع إليهم ألا يقتلوه وتفهمت من

((أحداث حقيقية))

إشاراته أنهُ يؤكد أنهُ مسيحي، أبعدتهم عنه وكانت لكنته الإنجليزية ضعيفة مثليّ لكننا تمكنا من التواصل، جلستُ معه أرضًا لجوار أحد الحقول وجلس أمامي يرتعد خوفًا وهو يشكر الرب على إرسالي إليه، فور رؤيتي لحالته من الفزع وهو يتملك روحه وتلك الدموع في عينيه بالسيد(بروتاس) هذا الرجُل من قرية بيلاجا تزيركوف الذي سمعمعي أنين الأطفال بمحبسهم قُبيل إعدامهم؛ إلتقيتهُ لجوار باب القبو بعد إقتياد الإطفال يجلس في قُرفصاء وينتحب بحرارة، فبكت عيني رغمًا عني وأنا أنظر إليه وحدثته بالإنجليزية أطمئنه:

ـ لا تخف لن يقتُلك أحد.

انتفض في فزع وركع أسفل أقدامي يُقبلها في خشوع وهو يتمتم بنبرةً ملئها الدموع :

ـ أرجوك يا سيدي أقتُلني أنا ودعوا الأطفال، أنينهم يصُم أُذني وصرخاتهم(أمي) تطعنُ قلبي قهرًا، أرجوك أصفح عنهم.

أنهضته فسكن قليلاً عن فزعه لما رأي الدموع تُغرق عيني وأنا أُجيبه:

ـ لقد حاولت لكن الأمر ليس بيدي أو يدك، الآن فقط أُأكد لك أننا سوف نلقى أشر هزيمةً في تلك الحرب جراء تلك الدماء التي يُسامحنا الله عليها أبدًا؛ إن بقيت حيًا بلغ السوفييت والعالم أجمع أن هنالك من الجنود والشعب الألماني من يرفض الحرب ويمقُت القتل والدماء؛ لكنهُ مُستعبد من حاكمٍ مجنون لا يردعهُ أحد عن شره ويرى أنهُ الرب ونحنُ وألمانيا منهُ براء.

سألني الرجُل وهو ينتحب :

ـ هل قُتل النساء؟.

ـ أُعدموا أمام أطفالهم وستعدم الأطفال خلال ساعات.

صرخ وهو يرحل في فزع وجنون :

ـ اللعنة على ستالين وعلى هتلر وعلى الجميع، أين الرب من أنين هؤلاء الأطفال؛ بالتأكيد تلك هي النهاية ونحنُ بالجحيم بقعر جهنم .

تذكرتهُ وتذكرت حديثه على أثر رحيل هذا القروي الذي أهداني جاكيت كان يرتديه ليقيني برودة الشتاء والهواء وأنا على رأس دبابتي في طريقنا لنهر الفولجا؛ وصلنا أخيرًا لضفة النهر وشدهني هول ما أرى من جحيم تُحلق شياطينه بالسماء وتزحفُ حياته السامة أرضًا .

****

يتبع

١٠

مقبرة الفيرماخت

ستالينجراد



((أحداث حقيقية))

"حينما يُحلق الموت فوق رأسك يُهددك بقنصِ روحك إن
هَممتُ رأسك لتتنفس ويحوم دخان الموت خنقاً إن
أبقيت رأسك مُنخفضاً ولم تجد لك مهرباً من الموت،
تيقن أنك قتيلاً في مقبرةِ (ستالينجراد) لجوار إثنين
مليون إنسان، ضحية جنون الحرب والدم"

.. زحفُ الفيرماخت ..

.. لوفتوافا ..

.. نهرُ الدم ..

تحركت دباباتُنا ببُطءٍ شديد نتيجة ضعف الإمدادات والوقود تجاه نهر الفولجا، أخيرًا بدأت تلوح أمامنا مياه هذا النهر العظيم، ورغم السقيع الشديد في هذه المنطقة من العالم لم نكون نشعُر بالبرودة في تلك الأثناء، رفضت القوات ارتداء الملابس الشتوية كتحفيز لأنفُسهم على إنتهاء المعركة قبل الشتاء!، كان أكثر ما دفع القيادة للقبول بهذا الرفض الخاطئ هو الإنسحاب الكبير لقوات الجيش الأحمر أمام تقدُمنا!.

لم نلقى سوى مقاومات طفيفة من بعض الأهالي المُتحمسون وكان أغلبهم من النساء!، عجيبُ أمر المرأة دائمًا فهي الدافع لكُل شيئًا ونقيض ، الحُب والكره، الموت والحياة، الحرب والسلام، الأمان والفزع، الوفاء والخيانة ولم تتمكن بالتأكيد من إيقاف تقدم قواتنا، فلم تكون دباباتُنا تسير على الأرض بل كانت تسيرُ على جُثث وأشلاء كُل من إلتقيناه من السوفييت.

وصلت دبابتي مع طلائع الجيش السادس على شاطئ نهر الفولجا فتعلق عيني بالفاجعة، لم تكون هُنالك مدينة بإسم (ستالينجراد) إن ما أراه أمام عيني هو أطلال مدينةً تحترق بالكامل تُغطيها غمامةً

ضخمة من الدُخان السود بكثافةٍ لم تسمح ليّ برؤية مبنًا واحد بها، كانت سلاحنا الجوي (لوفتوافا) هو أقوى سلاح جوي بالعالم في هذا التوقيت ، واسقط في هذا اليوم قرابة الخمسون ألف قذيفة على تلك المدينة ليُحولها إلى قبرًا يحترق بجحيم الفوهرر؛ على مدار إسبوعين مُتتاليين لم يتوقف القصف الجوي ولا من مدافعنا على طرف النهر للحظة فكانت خلفنا أوروبا وأمامنا أسيا تحترق بلهيب نيراننا بالكامل، أي حربٍ يبحثُ عنها الفوهرر وأي مجدٍ يُريد تحقيقهُ هنا بعدما أباد مدينةً بالكامل قبل أن تطئها قدم جُنديٍ واحد من الفيرماخت؟!.

مر الأسبوع الأول من القصف المُستمر دون أدنى رد من جانب السوفييت!، في أخر الأسبوع وقبل يومين من منتصف شهر أغسطس لم أتحمل أكثرمن ذلك، إندفعت تجاه مكتب القيادة وطالبت الحارس إبلاغ قائد فرقة البانزر برغبتي لقائه، غاب بالداخل للحظات ثُم عاد يُشير ليّ بالدخول، تقدم للداخل وأعطيته التحية العسكرية فنظر لي من مجلسه خلف مكتبه وتحدث إليّ بحزمٍ :

ـ ما الأمر أيُها الكابتن؟!.

ـ سيدي الماريشال، هل تعتقد أن ما نحنُ مقدمون عليه حربٌ حقيقية أم نُزهةً عسكرية بين حُطام مدينة أهلكها القصف الشديد؟!.

نهض من مجلسه واتكئ بمؤخرته على مكتبه وأجابني :

((أحداث حقيقية))

ـ أعلم إلى ما ترمي بحديثك ولكنك لم تفهم، الفوهرر أصدر الأمر وهو ببساطة يجب محو ستالين جراد وإحتلالها مهما كان الثمن، أفهمت؟!.

ـ لكن يا سيدي.

قاطعني بحزمٍ شديد :

ـ انتهى الأمر أيُها الكابتن فلتتجه إلى دبابتك ولتستعد لتدوين مجد الفوهرر على جدران ستالين جراد.

خرجتُ من مكتبه مُتعجبًا من تلك الغطرسة والتعالي التي أصابت قادة الفيرماخت!، بيد ليّ أن هتلر وجوبلز تمكنوا حقًا من زرع الغرور في كامل الجنود بأكاذيبهم بأننا جيشٌ لا يُقهر، قد يكون هتلر قائد عسكري ذكي بالقدر الذي جعله يتمكن من صُنع هذا الغرور عبر التفوق العسكري والتكتيكي الشاسع بيننا وبين أعدائه، لقد أعتمد الفيرماخت في قواته على الدبابات المتطورة والهجوم الخاطف المُباغت بأعدادٍ مهولة تحت ساتر من الغطاء الجوي لأقوى سلاح طيران في زمننا هذا؛ لكن المؤكد ليّ الآن أن هذا الغرور الذي لامسته سوف يدفعنا إلى الهاوية عاجلاً أو أجلاً .

****

.. اجتياح ستالينجراد ..

.. قتال شوارع ..

.. إنهُ شرك ..

لم يكد يمُر على لقائي بالماريشال يومٌ وليلة حتى صدر الأمر لنا بعبور النهر واجتياح (ستالين جراد) بعد تأكيدات ال(لوفتوافا) بأن المينة جاهزةً تمامًا لقدومنا، وفي الصباح الباكر أشرقت الشمس علينا نُسيطر على المنطقة الجنوبية للمدينة بمحاذاة نهر الفولجا بشكلٍ كامل بلا أية مقاومةً تُذكر، يبدوا أن القادة في الفيرماخت وهتلر كانوا على حق فلقد استسلمت المدينة تمامًا ولم يبقى منها سوى الحُطام، لكن شيئًا واحدًا كان هو دافعي للقلق هو مشاهدة بعض المدنيين من السوفيت بالمدينة، كيف لهم أن ينجو من كثل ذلك القصف؟!، فإذا نجا المدنيين فهذا يعني أن هنالك جيوبٌ للمقاومة لم نصلها بعد.

لكن ذلك لم يُقلقني بمقدار تلك النظرة في أعيُن تلك المرأة وهي تمُر من جوارنا، لم تحني رأسها أو تهتز أو يبدو عليها أي إرتياب لوجودنا، بدت ليّ واثقةً من نصرها علينا بشكلٍ زرع الرُعب في نفسي، نظراتها

((أحداث حقيقية))

الحادة إخترقت روحي، إن هُزمنا هنا لن يرحمنا السوفييت وأقل ما سوف يفعلونه بنا هو إبادتنا لأخر جُندي جراء ما فعلناه بهم، أي جحيمٌ دفعنا به الفوهرر مع شعبٌ يسلبك نصرك عليه بنظرات القوة والثقة.

زاد الإستسلام والخنوع الغريب للمدينة من الحماسة بداخل جنودنا وقادتنا، فإندفعنا إلى شرك هلكتنا معميون بالغرور والعظمة يسوقنا الكبرياء، تقدمت قواتنا مُشاةً فلم يعود هُنالك طريقًا يصلح لسير الدبابات أو إستخدام تكتيكاتنا العسكرية التي تفوقنا بها من المباغتة والهجوم الخاطف، الآن نحنُ نتحرك لى مرأى عدونا وبعلمه ويُحصي علينا أنفاسُنا.

تقدمنا ببُطءٍ شديد نتحر تجاه أول مبنى ووقعت الصدمة علينا، ما أن تقدم أول جنودنا تجاه المبنى حتى خر صريعًا، أندفعت الرصاصات السوفيتية تحمل الحقد الذي زرعناه بمدافعنا ورويناه بدماء شعبهم تخترق جنودنا واحدًا تلو الأخر، مئات القناصين تعُج بهم الأبنية المهدمة، ألافٌ من خنادق وحُجر الجرذان كما وصفها القائد يندفعُ منها الموت تجاهُنا، نندفع بكُل قوة تجاه المبنى فنحتل الدور الأول والثاني فيتهدم على جنودنا بفعل القنابل اليدوية لمن به من السوفييت بدوره الأخير!، هم لا يُقاتلون لنصرٍ هُنا إنما ينتحرون بجنون عازمين على القتال لأخر نفسٍ بهم.

((أحداث حقيقية))

لم نتفهم هذا الإصرار منهم على المقاومة ونزيف جنودنا بشكلٍ جنوني فلقد كُنا نفقد ما يزيد عن ألف جُندي بشكلٍ يومي، حتى أسرنا أحد الجنود السوفييت فحضرت التحقيق معه بمكتب الماريشال بالمنطقة الجنوبية لستالين جراد ، كُنت أقف لجوار الشاب أمام الماريشال و لجواره جنرال وقائد فرقة البانزر فسألهُ الماريشال بلهجة ملئها الغرور:

ـ لا أعلم لما تُصرون على القتال ولا تستسلمون وينتهي الأمر ففي كُل الأحوال أنتم هالكون، من هذا المجنون الذي أمركم بالقتال؟!.

أجابهُ الشاب بقوة:

ـ وما لنا خلف الفولجا حتى نتراجع إليه؟!، لا شيئ؛ لقد أمرنا زعيمنا (ستالين) وكان أمرهُ واضحًا "لا خطوة إلى الوراء" فنحنُ نُقاتل من أجل أمهاتنا وزوجاتنا وأبنائنا، نحنُ نُدافع عن وطننا والنصرُ لنا فأنتم أيقظتُم وحشًا يكبح جماح جنون غضبه مُنذُ خُلقت الرض بقدومكم هُنا، ثق أن قدومكم لنا كان قرارًا خاطئًا وسوف تدُك مدافعنا برلين فنحنُ واثقين من نصرنا عليكم ببلادكم فما بالك ونحنُ نُقاتلكم على أرضنا؟!.

أشعلت كلِماته جنون القادة فبدأو السُباب والغضب من كلِماته التي إستفزت غرورهم وأهانت كبريائهم، قطع هذا الجنون والغضبُ صُراخ الماريشال ليّ أمرًا:

ـ أيُها النقيب، أقتُل هذا الجرذ.

لم أتمالك نفسي او أشعُر بكلماتي وهي تنطلق بوجههم:

((أحداث حقيقية))

ـ بالتأكيد لن أقتُله، فأنا مقاتل بإسم ألمانيا وتحت راية الفيرماخت وبأوامر الفوهرر لكنِ لن أكون مُجرم حرب واقتُل أحدًا دون محاكمة أو في حربٍ مفتوحة، فإن أردت قتله فلتقتُله بنفسك.

رمقني بنظرةٍ من الحقد والغضب كادت تنقطعُ لها أنفاسي، اعلم أنِ أدفع نفسي إلى مُشكلات كبيرة فليس من السليم إستفزاز قائدًا عسكريًا بالفيرماخت فماذا عن إستفزازه بأرض المعركة؟!، أمرنا جميعًا بتتبعه خارج مكتبه فوقفنا جميعًا أمام مكتبه أمامنا الجنود والقوات وأرض المعركة المُمتدة بستالين جراد، أخرج سيجارًا وأشعله ونظر للجندي الأسير وأردف إليه وهو يُشير بيده لهُ أن ينصرف قائلاً:

ـ تستطيع الرحيل، هيَّ أرحل وقاتلنا من جديد فسوف ننتظرك بألمانيا، إياك أن تتأخر أفهمت.

ركض الجندي السوفيتي فور سماعه حديث الماريشال، نظرت له مُتعجبًا فلم أفهم كلِماته حتى رأيت وسمعتُ أمره.

****

.. ٤٠ درجة تحت الصفر ..

بارانورمال_باسم زكي

((أحداث حقيقية))

.. ثلوجٍ ودماء ..

نظرتُ إليه وأنا أتعجب من فعله تجاه هذا الجندي الأسير، هل يُعقل أن تكون زُرعت الرحمة في قلوب الفيرماخت؟!، اشُك في ذلك فإن قلوب هؤلاء القادة كالحجارة أو أشد قسوة، لم أتفهم كُنه فعلهُ حتى رفع صوته تجاه أحد الجنود صارخًا فيه بأمره:

. أقتُل هذا الجرذ.

انهى امره وهو يُشير للجندي السوفيتي وهو يهرول، أسرع الجندي تجاه الرشاش وأطلق عليه الرصاص فتكوم أرضًا ولم تمُر لحظات حتى تيقنت أنهو أمسى جثةً هامدة، اقترب مني الماريشال ونفث دُخان سيجاره تجاهي وأردف :

. مجد ألمانيا لا يُكتب بالقانون أيُها النقيب، إنما نحفره بالدماء.

القى كلِماته المسمومة وأفكاره هو وأغلب قادة الفيرماخت أمامي وعاد لمكتبه، الحق ان الكثير منا بداخل الفيرماخت لا يستصيغ كامل قرارات الفوهرر وجنيرالاته ولكننا لا نستطيع البوح بذلك فالإعدامات تطال كُل معارض لأوامر الفوهرر، ذلك تحتم عليّ الصمت والقبول بالأمر الواقع، إندفعنا جاه القتل بجنون وشغف للدم لا يُصدق.

بدأت خسائرنا البشرية تتزايد بجنون فبدأ ضغط الجنيرالات يتزايد على الضباط للضغط على الجنود أكثر، اتجهت مع فرقةً كاملة يزيد عددُها عن الثلاث مئة جندي وضابط، فلقد تورطنا في قلب ستالين جراد مدينة الموت تلك، تلك المدينة أمست قبرًا كبيرًا لا تطأ قدمك فيها مترًا لا يكسوه الثلج الأحمر!، لقد تبدل لون الثلج من البيض إلى الأحمر لكثافة الدماء الجارية أنهارًا على أرض تلك المدينة الملعونة، لا يوجد بها مترًا لم يسقُط به قتيلاً سواء كان سوفيتي أو ألماني، في الموت لا تفرقة بيننا جميعُنا هُنا مقتولاً في صراع الطواغيت، بين طاغوت الشرق ستالين ومجنون العظمة الألماني هتلر.

تقدمت فرقتنا على وقع لحن الرصاصات من السلحة الرشاشة وقرع الإنفجارات نتراقص على لحنِ الموت وننشُد أُنشودة شيطان الدم، حل الغروب وحلت معه اللعنة، أكثر من ثلاث مئة مقاتل يحاصرون مبنى متهدم من ثلاثة طوابق ويعجزون عن إقتحامه، كثلما اقترب جُنديًا سقط قنصًا، جُن جنون أحد الضباط لجواري، صرخ في احد الجنود يأمره بإلقاء القنابل اليدوية وهدم والمبنى على من فيه، أسرع الجنود في إلقاء القنابل قُنبلةً تلو الخرى ولكنهم قد فقدوا التركيز فأقوى ما فيهم لن يتعدى إرتفاع قُنبلته خمسة عشر مترًا فلن تصل للطابق الثالث أبدًا؛ أكثر من عشر قنابل حتى بدا المكان جحيمًا وصرخ الضابط ي الجنود التقدم ، إندفعوا يقتحمون المبنى فما أن دلفت المجموعة الأولى منهم حتى انطلقت رصاصات رشاشٍ سوفيتي من أعلى المبنى تحصُد أرواح الجنود بالخلف، ودارت

المعركة بين الطابق الثاني وسقف المبنى بجنون من السلحة الرشاشة.

أكثر من ساعةً من إطلاق الرصاص المتبادل حتى نفذت طلقات الجنود السوفييت بأعلى المبنى، توهم الضابط لجواري أننا ربحنا تلك المعركة ولم يُدرك أننا تورطنا أكثر، ما أن نفذت رصاصات السوفييت واندفع جنودنا بجنون للقضاء عليهم حتى فجروا بهم وبأنفسهم قنابلهم اليدوية فهدم المبنى من أعلى وصارت السماء تُمطر علينا دمٌ وأشلاءٍ بشرية؛ تلك حالة الحرب في مدينة الموت كُل مترًا بها تُفقد مئات الأرواح، بأخر اليوم لم يعود من فرقتي سوى مئة جندي وضابط فقط، مئتي قتيل من أجل منزلاً واحدًا!؛ أيُ نصرًا نسعى لتحقيقهُ هنا فخمس جنود سوفييت أفقدونا مئتي جندي فكيف نكون نحن الأجدر بالحياة منهم كما يدعي الفوهرر!.

****

.. إحتلال ستالينجراد ..

.. البرد والجوع ..

((أحداث حقيقية))

تقدمت قواتنا ببُطءٍ شديد ونحنُ ننزف أرواحٍ بشرية في كُل شبرًا عجزنا عن إحصائهاً، وكانت أشرس المعارك في الجزء الأخير من ستالين جراد، تشبث السوفييت بالقتال حتى الموت يُكبدوننا خسائر تخطت الألف جُندي يوميًا، حتى فرضنا سيطرتنا بالكامل على ستالين جراد.

تجمعنا حول المذياع نستمع لخطاب الفوهرر وهو يُعلن إنتصارنا!، خرجت نبرته قوية من المذياع قائلاً :

.الآن أخبركم أن المدينة التي تحمل إسم عدونا أصبحت في أيدينا؛ بالطبع نحنُ متواضعون ولا يهُمنا إحتلال مدينة تحمل إسم عدونا!؛ لكن الأهم لنا الآن أنهُ لن تسير السُفن في نهر الفولجا.

أصابتني كلِماتهُ بالغثيان فإن هذا الرجُل يكذب أو انهُ لا يعلم شيئًا عن ما يحدُث هُنا، كم تكلفنا من دماء لنُحقق لهُ زهوه وعظمته، كم من الأطفال فقدوا ابائهم من أجل كلماتك الملعونة تلك أيُها الشيطان؟، كم من النساء تجرعت مرارة الفقد والحسرة لتُرضي غرورك وجنونك هذا؟!، اللعنة علينا إن قتال السوفييت هنا أكد ليّ أننا لن نربح تلك الحرب مُطلقًا.

((أحداث حقيقية))

بدأ الشتاء يندفع تجاهنا ويهبط السقيع والرياح تشتد علينا في مدينة الموت تلك، بدأنا نلتقطُ انفاسُنا بعد السيطرة على المدينة، وصدر أكثر الوامر جنونية لنا في مكتب الماريشال بعد أن استدعى أغلب ضباط الجيش السادس، كان حديثهُ خبيثًا صارمًا بقوله:

. لقد انسحب الجرذان الحُمر مُخلفين من ورائهم ألاف المدنيين ، ونحن الآن نُعاني ضعف الإمدادات فتشوا منازلهم وحفرهم القميئة وأحصلوا منهم على كُل ما ينفعنا.

صرختُ فيه:

. وعل أمست قوات الفيرماخت لصوص نهب يا سيدي الماريشال؟!.

. إذهب احصل لنفسك على ملابس للتدفئة أيها النقيب، فلسفتك سوف تُميتك بردًا .

لقد أطلق هذا اللعين شياطين الكون بأكملها على المدنيين العُزل، ركبتُ سيارتي ومعي بعضُ الجنود نُفتش في الضواحي على أي منزلاً نسأل أهله ملابس للتدفئة، وقعت عيني ونحن في الطريق على أحد ضبابط إس إس وهو يُفتش حُفرةً ويُخرج منها إمرأةً وطفلة ورجلاً ، أمرتُ السائق أن يتوقف ، لقد تحول المدنيين نتيجة القصف العنيف للسكن بالخنادق في حُفرٍ لا تصلُح لأن تكون مسكن جرذان، هبطت من مالسيارة ولم أكد أصلُ إلى الضابط حتى سحب مسدسه وأطلق رصاصةً على الرجُل أمام زوجته وطفلته، هرولت تجاههم

((أحداث حقيقية))

وكان الفزع والصراخ يجتاح المرأة وهي تحتضن طفلتها وتُغلق أعيُنها عن المشهد الدامي أمامها، صرخت في الضابط :

ـ ماذا تفعل أيُها الضابط، أجُننت إنهُ مدنيٌ أعزل.

صرخ بجنون :

ـ إن هذا اللعين يمنع عني ملابسه ويدعي أنهُ لا يملكُ شيئًا.

ـ لا أدري إن كان هو اللعين أم أنت أم أنا أم الجميع، عليك اللعنة فإن تلك الحرب لن نربحها طالما فينا من هُم مثلك.

القيتُ كلِماتي وأشرتُ للمرأة الفزعة وطفلتها بالركوب معي بالسيارة ريثما أنقلهم لأقرب منزل يُقابلنا، دلفت المرأة وطفلتها إلى السيارة، وتحركنا للأمام ، أخرجتُ من جيبي قطعة شيكولاتة ومددت يدي للطفلة أهبها لها أُهدئ من روعها، فقبلتها على مضض، لم تبكي المرأة ولم يبدوا عليها أي تغيُر، بدت كالفولاذ غير ابلة للإنكسار أو الإستسلام، قابلنا منزلاً فوقفت السيارة، وهبطنا منها ، طرقنا الباب ففتحت لنا امرأة قدمتُ لها المرأة الأخرى فرحبت بها بحرارة، طلبت منها أن أُفتش المنزل وقمت بتفتيشه أنا وجنديان معي ولم نعثُر سوى على بعض الملابس القديمة لزوجها المقتول بالمعركة فأخذناهم، وتعرفت على طفلها (فلادي) هذا الولد الجميل وأهديتهُ الشيكولاته ورحلت، لم نطمئن لهذا الإستسلام السوفييتي الغريب، فلم تمُر أيام حتى بدأت المعركة الحقيقية وإكتشفنا أننا وقعنا في الشرك وغرقت أقدامنا في برك دماء السوفييت وأن (ستالين جراد) لم تكون سوى مقبرةً للفيرماخت..

****

يتبع

١١

المرجل

ستالينجراد

"حينما تُسيطر على البشر غرائزهم تيقن أن كُل ما تعلمته الإنسانية لا وجود له، فمع الخوفُ من الموتِ وأنت تراهُ يحصُد أرواح الألاف تصحبهُ برودةً وجوع ووباء يفتكون بنا، كان الحيوان أقرب إلى الإنسانية منا؛ فلما أضعنا الإنسانية هُزمنا"

..قناصون محترفون..

..خلف الغيوم بين الدون والفولجا..

.. شتاءٌ قاتل ..

إندفعتُ بعربتي عائدًا للمعسكر بقلب ستالين جراد، أوشك الليل أن يصُب جحيم برودته وظلامه عليّ، فور حلول الليل على الجميع إشعال النيران للتدفئة والنوم في تزاحُم بالخنادق والحُفر، الحربُ جحيمٌ دُفعنا إليها دفعًا إرضاءً لغرور الفوهرر، أغلب الشعوب التي تقودها الطواغيت هي أكثر الشعوب حُبًا للحياة كشعب ألمانيا وهؤلاء السوفييت، لكن الطواغيت الحاكمة لكلينا تعشقُ الدماء وتعبُد الموت ودينُها الوحيد هو الحرب.

توجهتُ للمنطقة الشمالية والأخيرة بستالين جراد للمشاركة في محاولتنا السيطرة على أخر نقاط السوفييت، لقد فرضنا سيطرتنا على كامل ستالين جراد بإستثناء بعض النقاط الصغيرة على مشارف النهر، نقاط لا تتعدى المئة وخمسون مترًا بمناطق مُتفرقة على امتداد النهر، تثبث السوفييت بتلك النقاط الصغيرة وقاتلوا عليها

بإستماتة!، لم نتمكن من التحرك أمام تلك النقاط الصغيرة قيد أنمُلة، تعج تلك النقاط بالقناصين المحترفين بحق.

جلست لجوار أحد الجنود نحتمي بأطلال وركام أحد المنازل المُطلة على إحدى نقاط السوفييت، بدا لي متوترًا للغاية فور رؤيته لي وأخفى ورقةً كان يكتُبها، نظرت إليه وحدثتهُ بنبرة هادئة أُخفف الضغط عليه قائلاً:

. لما أخفيتُ خطابك أيُها الجندي الشجاع، لا تقلق فجميعنا يُراسل أحدهم بمخاوفه وألامه، لاتخجل.

تهللت أساريره وأجابني بحماسٍ يُخالطهُ الحزن والخوف قائلاً:

. لكن يا سيدي القادة يحرمون ذكر أي شيئًا يتعلق بالمعركة، وأُريد إعلام زوجتي بما أمُر به فهل ذلك مُمكن؟.

ـ ما اسمك وما اسم زوجتك؟.

ـ هيلمت يا سيدي، وزوجتي هيلين.

ـ أنت جندي ألماني تُحارب باسم ألمانيا هنا وزوجتك تُحارب باسم وطنها في ألمانيا فلا تقلق وأخبرها ما تُريد، فجميعنا يحتاج للحبيب يصرخ إليه بخوفه وألمه.

تحمس بشدة لكلِماتي له وأجابني بذات الحماس:

ـ هل أقرأ إليك ما كتبت ؟.

((أحداث حقيقية))

أومأت إليه برأسي قبولاً وأنا أبتسم لحاله، هذا الشغف للحياة والأمل في الغد والسعادة على وجهه وهو يتخفى خلف جدارٍ متهدم خشية إصابته برصاصة لتُنهي حياته في لحظة لا يأتي إلا بخديعة(الحُب)، لم أؤمن يومًا بحُب امرأة فما يدفعُني لحُب امرأة وأنا على شفا الموت لأموت في كل لحظة شوقٍ وغيرة وقلق ولهفةً عليها كحال هذا الجندي أمامي، والأحق انه فور موته سوف تُحب تلك المرأة وتتكرر المأساة من جديد!، أخرج ورقتهُ وبدأ يقرأ بنبرةً ملئها اللهفة والشوق ممزوجةً بالخوف من الموت:

ـ لدى السوفييت قناصين مميزين، ساعدني يا رب ألا أكون أبدًا أحد أهدافهم، نحنُ نتجمد هُنا ولم يحن الشتاء في تلك الأرض بعد، ما الذي سيحدث لنا في الشتاء لو تُركنا هُنا؟!، ساعدينا يا مريم العذراء لنعود لديارنا، هيلين إذا قُتلت في المعركة لا أُريدك أن تحزني فلتُحبي من جديد ولتُكملي حياتك بسعادة فلم ولن أُحب غيرك وأتمنى لكِ السعادة دائمًا، أُحبك.

انتهى من قراءة خطابه وانتحب بكاءً، بدا هذا الشاب كمن على شفا الموت حقًا وهو يلفظ أخر أنفاسه، بسط يدهُ لي بالخطاب وتابع حديثه:

ـ هل تُسلم الخطاب نيابةً عني للبريد يا سيدي.

التقمتهُ منه وأومأت لهُ قبولاً، يُغادر الركام لجواري يتجه لجمع الجنود بالجهة المقابلة بعدما أشار لهُ أحد الضباط يستدعيه، تابعتهُ بنظري فما أن ابتعد عن الجدار حتى أُصيب برصاصةً برأسه، انفجرت جمجمته وفتطايرت فصوص عقله كشظايا بكل اتجاه، تهادى جسده حتى هوى وأنا مُصابًا بالصدمة من هول ما أرى، تلك

باranورمال_باسم زكي

((أحداث حقيقية))

هي المرة الأولى بحياتي أرى مشهدًا مماثل على بُعد خطواتٍ مني، بضعُ خطوات كانت فاصلة بين الحياة والموت، اللعنة على الحرب.

****

.. مرجل الموت ..

.. جريجوري تشيكوف ..

.. مليون جُندي ..

.. توهمنا النصر ..

.. حصار الفيرماخت ..

بدأ الشتاء يُهاجمنا بشراسة مع بداية شهر نوفمبر، وصلت درجات الحرارة لثلاثون تحت الصفر ونحنُ على حالنا من المناوشات

الخفيفة حول نقاط السوفييت الصغيرة على ضفاف النهر، ومع بداية هذا الشهر وكثافة سقوط الثلوج والغيوم توقف القتال بالأسلحة تمامًا، فكلينا الآن يُقاتل الطبيعة التي تنتقم منا بشراسة وتُعاقبنا على جرائمنا تجاهها وتجاه البشرية، وقفتُ بإحدى النقاط الخاضعة لنا على نهر الفولجا أُدقق النظر تجاه الدولة السوفيتية، لم تخترق عيوني كثافة الثلوج خلف تلك السهول لأرى الموت المُحقق يحتشد خلف الغيوم للفتكِ بنا.

خلف تلك السهول كان(ستالين) قد جُن جنونه تمامًا بعد احتلال المدينة التي تحملُ اسمه، وتدمير المنطقة الصناعية العسكرية بالكاملِ، تلك المنطقة كان تحتوي على مئات المصانع العسكرية التي يعتمد عليها الجيش الأحمر في تسليحه وأهمها مصانع تصنيع الدبابات t34 وبفقدِ تلك المصانع والمدينة توهم الفوهرر وجينرالاته أن المعركة قد انتهت!، كان يجب عليهم رؤية هجوم السوفييت علينا ليكتشفوا أنهم عميان وليسوا ضعاف النظر فحسب.

اشتدت البرودة وضعُفت الإمدادات بقوة، ساءت التغذية ولم نتمكن من تعويض خسائرنا في الدبابات أو إيجاد بديلاً لنقص الوقود، لم أكون أتخيل أن لحم الحصان بهذا الجمال!، لقد أكلنا أحصنة السوفييت مع ضعف إمداداتنا من الأغذية وإحتياجنا الشديد للطعام والدفء، تعددت هجماتُنا على منازل المدنيين حتى لم يعود أحدهم يملكُ شيئًا لنهبه، الآن الجميع يُعاني ولكن إلى

متى؟، كُنت أظن أن ذلك هو أسوأ ما قد يحدث في تلك الحرب الجنونية.

بينما انشغل الفوهرر في خطاباته ونحنُ في مناوشات السوفييت ومحاربة البرد والجوع، كان (ستالين) يقود آلة الحرب السوفيتية ببراعةً شديدة، أسرع السوفييت في بناء أكبر مصانع الدبابات والأسلحة في أبعد مناطق العالم بأقصى الشرق بعيدًا عن أعُين الفوهرر خلف جبال (أوراس)، المئات من مصانع التسليح بُنيت بأسرعِ وقتٍ ودأب العمل فيها على قدمٍ وساق، الإمبراطورية السوفيِتية بأكملها تُحارب مُنذُ البداية ونحن فقط من لم نكون نعلم!، أغتررنا بتقدمُنا وانسحاب الجيش الأحمر وهزائمهم أمامنا حتى ظننا أنهم ضعفاء مستسلمون.

نقلت إلينا المخابرات الألمانية أن (ستالين) عين أهم جنيرالاته وأشهرهم لمعركة تحرير(ستالينجراد) وهو المشير (جيرجوري تشيكوف) وأن أوامر الفوهرر للجيش السادس هي الحفاظ على المدينة مهما كان الثمن، أدركنا منذُ منتصف شهر نوفمبر أن ثمة معركة كبيرة سوف تنشُب خلال أيام فبدأنا الإستعداد، كان كامل ما لدينا من دبابات في هذا التوقيت تصلح للمعركة ومجهزة بالوقود والذخيرة لا تزيد عن مئة دبابة!، لكن ما كان يطمئنُنا أن المعركة لن تحتاج للدبابات لطردنا من المدينة.

((أحداث حقيقية))

إن اندلعت المعركة فلن يتقدم السوفييت إلا عبر نهر الفولجا الذي تجمد تمامًا وهو ما تؤمنهُ مدافعنا وهُم لا يملكون دبابات تساعدهم للعبور بعد تدميرنا مصانع ستالينجراد!، وفي المؤخرة خلفنا تؤمننا القوات الرومانية وهي لم تشتبك في الحرب منذ بدايتها وهي بكامل تجهيزاتها وقوتها!، كانت كل الأجواء توحيَّ بالنصر لنا فإن الجيش السادس للفيرماخت لم يُهزم في أي معركةً مُنذ اندلعت الحرب ولن يُهزم هنا!، كان ذلك مُعتقدنا الخاطئ.

ظل ذلك المعتقد مُسيطرًا علينا حتى الساعة الخامسة والنصف تقريبًا يوم التاسع عشر من شهر نوفمبر، حتى بدأت السماء تُمطر نيرانًا تمُر من فوق رؤوسنا، دويّ رعد المدافع السوفيتية أيقظ أمواتنا من قبورهم، أكثر من ثلاثة الاف ونصف مِدفعٍ سوفيتي يقصفوننا بجنون، دوي الإنفاجارات كان مهيبًا لم ولن أرى مثله في حياتي، الأرض تهتز بعنف جراء القصف، في البداية كنتُ أظُن أن القصف يستهدف الجيش السادس بستالينجراد، لم أستغرق دقائق حتى تبين ليّ أن القصف لا يستهدفنا!، من إذًا يستهدفه هذا القصف الجنوني؟!، هل هنالك إمدادات لنا من الفوهرر يحاول السوفييت منعها عنا؟!، لم نفهم الأمر في بادئه حتى اكتشفنا الكارثة المُحققة التي أصابتنا.

اندفعت تجاه مقر الجينرال قائد البانزر فوجدتهُ بالميدان، سألته في تعجُب ودهشة :

. سيدي الجنيرال، أين يوجه هؤلاء المجانين قصفهم هل يخطئون التوجيه بهذا القدر؟!.

نظر لي بغضبٍ شديد وصرخ في قائلاً:

. تشيكوف لا يُخطئ أيها النقيب، ياليته قصفنا نحن، السوفييت يصبون جحيم حقدهم على القوات الرومانية على جوانب جيشنا ومؤخرتنا، لقد اكتشفوا نقطة ضعفنا وهم الآن يفتكون بها، استعد فهجومهم علينا سيكون خلال ساعات ويجب تلقينهم درسًا قاسيًا بأن الفيرماخت ليسوا كالرومانيين.

اتجهت كُل الضُباط إلى المدافع تراقب وتنتظر الهجوم السوفيتي لرده، لحظات ولاحت طلائع مشاة الجيش الأحمر، اندفعنا نُلقم مدافعنا بداناتها وأطلقنا النيران فكانت تحصُد المهاجمين حصدًا، لم نطلق الكثير من الضربات حتى أفنينا المهاجمين فكرروا الهجوم وكررنا القصف نذبحهم ذبحًا فتوقفوا!، كيف لهذا القائد السوفيتي أن يُهاجم قواتنا المتحصنة بمُشاتهِ في تشكيلاتٍ مفتوحة إلا إذا كان أبلهٌ أو يُخطط لأمرًا أعظم!.

لم تمر علينا ساعات حتى اكتشفنا خُطته الشيطانية، بينما انشغلنا بصد فوج من المشاة السوفيت من الغرب، كان يلتف حولنا بأكثر من ألف ومئتين دبابة T34 وقوات مُهاجمة يزيد تعدادها عن المليون جُندي، لقد توهمنا النصر بينما إلتف حولنا بقواته من الشمال والجنوب ليحصُرنا تيشكوف في (مرجل الموت) بستالينجراد، تلك

بارانورمال_باسم زكي

((أحداث حقيقية))

المعارك الدامية والخطة الشيطانية كانت نقطة البداية في تحول المعركة الحرب العالمية الثانية بأكملها لأكبر مذبحةً بشرية دونها التاريخ.

****

.. الجوع قاتل ..

.. التيفويد ..

.. أكلي لحوم بشرية ..

.. ستالينجراد مقبرة جماعية ..

مرت علينا الثلاث أيام بالكاد حتى تيقنا أننا وقعنا في الآسر بالكامل، الجيش السادس بأكمله الآن بين أنياب الوحش السوفيتي بعد أن هاجمنا عرينهُ وذبحنا نسائه وأشباله فكيف سيكون منا إنتقامه!،

إكتملت دائرة السوفييت الفولاذية في تطويق أعناقنا بداخل ستالينجراد ليبدأ (مرجل الموت)، المعارك مُستمرة بلا توقف ليلاً ونهارًا.

دائرة الجحيم تضيق على أعناقنا مع كُل لحظة أكثر فأكثر، كان الجميع على يقين بأن السوفييت لن ترحمنا لما فعلناه بشعبهم، كيف يرحموننا ونحنُ لم نرحم أحدٌ منهم!، بدأ الجوع يعصف بأروح الرجال تحت الحصار، الخوف من الموت المُحقق والشتاء المُميت والإصابات الخطيرة للقوات ومُعدل الفقد في الأرواح كانت جميعُها عوامل للضغط علينا والفتك بنا.

يُقتل يوميًا ما يزيد عن الألف رجُل جراء المعارك، لكن الأخطر هو ان أضعاف هذا العدد كانت تموت جوعًا!، الجميع يبحث عن الطعام بلاهوادة، كُل ما يتنفس أُكل في ستالينجراد، الأحصنة ثم الكلاب ثم القطط، انتشرت بين قواتنا الأمراض والأوبئة مثل التيفونيد تحصد أرواح الجنود والضباط بلاهوادة، حتى اليوم الذي رأيت فيه ما قتلت بداخلي كُل ما أمنتُ به يومًا.

إندفعت مع بعض جنودي ننسحب من إحدى النقاط الأمامية المواجهة للسوفيت نتقهقر شارعًا بالكامل، قدنا في هذه النقطة أكثر من مئتين جُندي في ساعة، هحوم السوفييت جنوني لا يتوقفون أبدًا ولا يكلون ولا يملون من تكرار موجات الهجوم العنيف، كُنت

أشعُر أنهم لا يُريدون التقدم فحسب بل كانوا يُريدون تدميرنا والمرور فوق جُثثنا، هذا الفيلق الخاص بي كان يضُم في أول هجومٍ لنا على ستالينجراد أكثر من ثلاثة عشر ألف جُندي والآن من يستطيع القتال منه أربعُ مئة فردٍ!.

احتميتُ بأحدى الجُدران المتهدمة وسقطتُ أرضًا ألتقطُ أنفاسي المُتقطعة، فشدهني مشهد جُنديان يُراقباني بأعيُن ذابلة وهم يلتهمون طعًا من اللحم بنهم، الحق أن الجوع كان يفتكُ بي فلم أنتظر دعوتهم أنا والجنديان معي فشاركناهم الطعام وكان اللحمُ شهيًا ولهُ مذاقًا مُختلف، سألتُ الجندي أمامي بشغف:

. من أين لكم بهذا اللحم الشهي؟!، أهو لحم حصان أم غزالٌ؟!.

نظر ليّ الجُندي مُندهشًا وهز أكتافه بلامُبالاة وأجابني:

. ومن أين ليّ أن أعلم وأنا لم أُغادر مكاني مُنذُ أيام، لقد أحضرهُ حنديٌ ثالث معنا وذهب لإحضار المزيد قد تُقابله في طريق عودتك!، فلتسألهُ إن لقيتهُ.

ما أن انتهينا من الطعام حتى رحلنا نغوص في قلب المدينة، كُنت أُفتش بعيني عن هذا الجندي الثالث فقادني الشغف إلى الغوص في إحدى النقاط الهادئة بالمدينة بين أطلال الأشجار الميتة، لمحتُ أحدًا يجثو على رُكبتيه أرضًا ويعبث بشيئًا أرضًا، تحسستُ خطواتي مقتربًا منهُ أُدقق النظر فيما يفعل، صعقني أنهُ يُمثل بإحدى

((أحداث حقيقية))

الجثث، كان يقطع قطعًا من أرداف وأفخاذ جُثة محفوظة بالثلج!، صرختُ فيه وأنا أُشهر في وجهه مدفعي الرشاش:

. توقف، ماذا تفعل أيُها الجندي، التمثيلُ بالجثث جريمة حرب.

نظر ليّ نظرةً لم ولن أنساها يومًا وأجابني وهو بموقعه:

. أنا لا أُمثل بالجثة يا سيدي النقيب، أنا أستخلصُ منها اللحمُ لنأكُله فلا طعام يأتي لي ولجُنديان معي على خط المواجهة الأمامي مُنذُ خمس أيام؛ كما أنِ لست وحدي من يفعل ذلك أُنظر حتى المدنيين السوفيت يفعلون ذلك.

أنهى كلِماته وأشار بيده تجاه قلب الغابة الميتة فقتلني المشهد، العشرات من اشباه البشر تنبُش الأرض وتُمزق الحُثث للحصول على اللحم البشري منها؛ لم أتمالك نفسي ولم تحملني أقدامي، إنهارت قواي على التحمل ولم تعُد اقدامي تحملُني، سقطتُ جاثيًا على رُكبتي وأنا أصرُخ ألمًا وتقلبت معدتي ألاف التقلُبات في لحظات تُفرغ ما بها حتى رأيت عُصارة معدتي بأعيُن أهلكتها الدموع، أكثر ما أدهشني أن أحدًا من النباشين أمامي لم يتحرك أو يهتز لحالي ظل الجميع ينبُش ويُمزق الجثث ولا يأبه بالكون بأكمله من حوله، لم أقوى على النهوض فأنهضني الجنديان من فيلقي ورحلوا بي عائدين لمُعسكرنا بقلب مدينة الموت و(أكلي لحوم البشر).

تقدم السوفييت أكثر بدباباتهم تدهس مواقعنا الأمامية، ميون جُندي بصحبة أكثر من ألف ومئتين دبابة تُهاجم بضراوة جنودنا

((أحداث حقيقية))

التي إستُنزفت وأُنهكت تمامًا ولم تعود هنالك أية فاعلية لنا في صد هجومهم، لم يتوقف الجنون في تلك المعركة عند هذا الحد بل إزداد أكثر.

أخترقت أصوات ألمانيين أُذن كُل جندي وضابط بمرجل ستالينجراد فجأة برسالةً واحدة مُتكررة بلا توقف وكانت كصرخات الشيطان وهي " ستالينجراد مقبرةً جماعية، كُل سبع ثواني يقع أحد جنود الألمان قتيلاً" ؛ أي جحيمٌ نحياه وكيف لنا الهرب من هذا الموت المُحلق فوق رؤوسنا، فقدنا الأمل تمامًا ونهش اليأس نفوسنا ولكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد فمازال القادم أسوأ.

****

.. مطاران بيتمنيك، جومراك ..

.. عرض الإستسلام المرفوض ..

.. رسول من الجحيم ..

((أحداث حقيقية))

لم تتوقف أبواق الفزع عن نعيقُ الشر في أُذننا، أبشع أنواع الحروب هي الحروب النفسية كُنا نعلم أن السوفييت يهدفون لإضعافنا بتلك الإشاعات، لكننا لم نصدق هذا الصوت أبدًا وكنا يقينُنا أن هذا الصوت كاذب فهو صوت العدو، باءت حملتهم النفسية بالفشل ولم تُثمر عن أهدافها المرجوة ولم نستسلم.

ضعُفت الإمدادات أكثر بل ندُرت إلا عبر مهبطي (بيتمنيك وجومراك) كان قائد سلاح لوفتوافا قد أقنع الفوهرر بأن الجيش السادس يمكنه النجاة ومواصلة الحرب إذا تم توفير جسرٌ جوي له من الإمدادات عبر المهبطين وأن اللوفتوافا قادر على توفير هذا الجسر!، وافق هتلر على الأمر فورًا فهو لن يأمُر بالإنسحاب مهما كان الثمن، لكن الحقيقة أن العديد من الطائرات كانت تسقُط فلقد أكتشف السوفييت آلايات جديدة في الدفاع فضعُفت الإمدادات أكثر، كانت الطائرات تسقط حمولاتها من الجو وتحول المهبطين إلى ساحات إخلاء لجرحى الحرب وهم بالألاف فتكدست بهم المنطاق المحيطة بالمهبطين.

ظل الأمر على هذا الحال إلى اليوم الثامن من شهر يناير عام ألفٍ وتسع مئة وثلاثة وأربعون، حينما أسرع إليّ أحد جنود الجبهة وتحدث في سعادةً بالغة:

. سيدي النقيب، هنالك رُسلٌ من السوفييت ترفع الرايات البيضاء تطلُب الإذن بالإتصال بالقائد (باولوس).

أجبتهُ فورًا :

. إعطوهم الإذن بالدخول فورًا.

ركض الجُندي لتنفيذ الأمر بينما أعدتُ السيارة وأخبرت مكتب(باولوس) بالأمر عبر اللاسلكي، وصل الوفد وكان أربع ضباط سوفييت أحدهم كان يحمل حقيبة أوراق، دلف الجميع لداخل السيارة في صمتٍ تام حتى وصلنا لمقر القيادة، اصطف الجنود في ابهى ملابسهم وأسلحتهم لإستقبال الوفد، بدا الجميع بصحة جيدة وحماسٌ بالغ!، شعُرت أني الوحيد بين الجموع مُنهك بل بحالةٍ يُرثى لها، تقدمت بهم إلى باب المكتب وأُذن لنا بالدخول، كان (باولوس) يجلس خلف مكتبه وأمامه المارشال والجنرال قائد البانزر، تم الترحيب بالوفد والذي أسرع قائده بالحديث وهو يُخرج أوراقًا من حقيبته ويُسلمها لباولوس قائلاً:

. أمرني المُشير (تشيكوف) بتقديم عرض الإستسلام لقائد القوات الألمانية بستالينجراد، وحملني رسالةً شفهية للقائد هنا وهي" إن القائد الحقيقي هو من يحمي أرواح شعبه وجنوده من مقصلة العدو الحقيقية وإن إضطرتهُ الظروف بالتضحية بحياته من أجل ذلك"؛ الآن الأمر أمامكم سيدي القائد فما ردكم على العرض؟.

بدا الجميع مصدومًا من كلِمات الضابط السوفييتي، رأيتُ باولوس مترددًا كعادته فقطع الماريشال الصمت والموقف بنبرته الصارمة:

. الأمر في الرد على عرضكم يلزمهُ الوقت، فليستريح جمعكم حتى نُرسل بالأمر للفوهرر ونبلغكم بالرد.

((أحداث حقيقية))

أنهى حديثهُ وأشار للوفد بالجلوس تسلم الأوراق من باولوس وتوجه لغرفة الإتصال خلف المكتب، لم أتمكن من تحديد المدة الزمنية التي استلزمته حتى عاد بالرد، لكنها لم تكون طويلة ولا متوسطةً حتى على أقصى تقدير لم يلزمه الأمر أكثر من عشرة دقائق، كُنتُ فيها أُمني نفسي بأمل الهرب أخيرًا من هذا الجحيم والخروج للجش السادس من مرجل ستالينجراد وعودته إلى ألمانيا بكامل تسليحه وقواته، كان العرض السوفييتي مُشرفًا كل ما فيه خروجنا وعودتنا إلى ألمانيا، أليس من حقهم طردنا من أرضهم بل وذبحنا جميعًا جراء ما فعلناه بهم وبشعبهم؟!، لكنهم كانوا كُرماء ومقاتلين حقيقيين فلا يهبك حياتك وكرامتك إلا مُقاتلاً مُنتصرًا يملك قوةً حقيقية هي الإنسانية ولذلك تيقنت تمامًا ان السوفييت سوف تنتصر في تلك الحرب بأكملها وليس في ستالينجراد فحسب.

انتزعني من أحلامي بدفء الوطن جحيم كلِمات الماريشال فور دخوله المكتب وتسليمه الأوراق لباولوس وكانت:

. رُفض عرضكم من قبل الفوهرر، إن الفيرماخت لن يستسلم ولن يتراجع شبرًا واحدًا.

أشار لباولوس التوقيع بالرفض فوقع، حمل الأوراق وسلمها للضابط السوفيتي وتابع حديثه:

. الآن تستطيعون الرحيل على وقع أصوات رصاصات جيشنا، لا تحسبون الرصاص لتهديدكم إنما هو لتذكيركم أن الإقتراب من الفيرماخت يعني الموت.

سلمهم الأوراق وأشار لهم بالخروج، شعُرت بالإهانة من فعله كما لم أشعُر بها من قبل، أي غرورٌ جتاح هتلر ومن يختارهم من رجال ليكونوا قادةً حوله، فور خروجنا من المكتب بدأ إطلاق الرصاص في الهواء طوال رحلة إيصالي لهم، لم يهتز أحدهم على الإطلاق ظلوا على ثباتهم، كم تمنيت الإعتذار لهم ولكن ذلك يعني مقتلي بتهمة الخيانة إن فعلت، لكن عيني إعتذرت ألاف المرات، مع دوي كل رصاصة كُنت أعتذر بنظرة أسف، توقفت السيارة قرب خط المواجهة فهبط الوفد واقترب مني قائدهم وهمس في أُذني:

. أنت رجُلاً كريم لا تُشبههم تشبث بإنسانيتك فنحنُ نعلم أن الكثير منكم لا يؤمن بفكر هتلر وقادته المغرورون، تيقن أننا جميعًا مثلك ولن ننتقم منكم على ذنوبٍ نعلم أنها بعُنق قائدكم وحده، فلا تخف.

لم أتفهم كلِماته في حينها إلا أنِ توقعت وكذلك الجميع أن الضربة القاضية سوف تكون خلال أيام، وقد كان توقعنا جميعًا سليم فبمرورِ يومين رصد جنود خط المواجهة جحافل الجيش الأحمر تستعد للهجوم، مئات الدبابات ومئات الألاف من المشاة خلفهم، لقد قرر السوفيت تضيق الخناق علينا أكثر فأكثر، مع كل يومٍ كان يشتد حبلهم الناري حول عُنق الجيش السادس يخنقهُ، لم يعود هنالك حلاً أمام باولوس والماريشال سوى إرسال أحد الضباط من الجحيم هنا إلى عرين الفوهرر لوضعه على أخر التطورات، رحل الكابتن (فينرخ بير) على متن الطائرة برفقة الجرحى لوضع الأمر بكامل تفاصيله أمام الفوهرر، ونحن ننتظر الآن رد الفوهرر على ما عَلِمهُ.

****

٣

.. فشل عاصفة الشتاء ..

.. هرب الجنيرالات ..

.. ٥٣ يوم في الجحيم ..

.. قبو الموتى ..

.. إستسلامٍ مُخزي ..

ظل (فينرخ) يشرح الكارثة للفوهرر ويستفيض لثلاث ساعات متواصلة لكنهُ لم يفهم أن القرار كان قد أُتُخذ من البداية "لاتراجع ولو هلك الجميع"، إجتمع (هتلر) بقادة جيوش حلفاءه لبحث إنقاذ الجيش السادس المحاصر في مرجل ستالينجراد، كان اللقاء عاصف

وتبادل الجميع الإتهامات بالفشل والتخاذل، حتى تم إتخاذ القرار بحملة عسكرية لإنقاذ الجيش السادس المُحاصر في مرجل ستالينجراد.

استدعا (هتلر) أشهر جنيرالاته وجنرالات المانيا على الإطلاق لقيادة الحملة التي أُطلق عليها(عاصفة الشتاء) وهو المشير(مانشتين)، كان اليأس قد تمكن منا تمَامًا مع ضغط الجيش الأحمر علينا بشدة، حتى الليلة التي رأينا فيها القنابل الضوئية تشعل السماء ليلاً ودوي المدافع على مقرُبةً منا، اتقد الأمل والحماس في قلوبنا، لقد أرسل الفوهرر ينقذنا، سمعت صرخات الجنود تُهلل خلفي وهم يقولون" ألم أُخبرك أن الفوهرر سوف يُنقذنا" .

لا أعلم لما كُنت وحدي البائس الذي لم تغمره الفرحة ولا الحماس، الأمر عندي أكثر واقعية فمهما بلغت إمدادات الفوهرر لن تصمُد في وجه الجيش الأحمر، فإذا فشلت أقوى جيوش الفيرماخت وهو الجيش السادس الذي لم يلقى هزيمةً واحدة مُنذُ بداية الحرب وكان قوام قواته يزيد عن الست مئة ألف جندي قد فشل وحُصر في مرجل الجحيم بداخل ستالينجراد فما هو الحال للإمدادات؟!.

أيامٌ قليلة وبدأ صوت القصف يبتعد وتبددت معهُ أمال الهرب من الجحيم، فشل الهجوم الذي قاده مانشتين في إختراق الحلقات الفولاذية للجيش الأحمر وانسحب خائبًا تاركًا أكثر من مئتين

((أحداث حقيقية))

وخمسون ألف جندي بين أنياب الجوع والبرد وانتقام السوفييت للفتك بهم، اشتد الجوع والبرد ووصلت درجات الحرارة لخمسون درجة تحت الصفر، لقد فتكت الجوع والبرد بعددٍ أكبر من ما فُتك به جراء المعارك.

كُنت اسمع عن الأهوال التي تحدُث عند مهبط جومراك، وهرب القادة والجنيرالات من أرض المعركة، قررت الهبوط في سراديب المدينة للوقوف بنفسي على حال المصابين وما وصلنا إليه، الآن يجب أن نستسلم فلن نتحمل أكثر، اندفعتُ عبر السراديب التي احتوت في باطنها على أكثر من أربعون ألف مُصاب بإصاباتٍ خطيرة، تلك الرائحة العفنة التي تفوح من الطُرقات، صرخات الألم التي لا تنقطع، عجز الأطباء عن علاج المرضى، آنين المصابين الذي لا يتوقف، مشاهد الدماء والأشلاء البشرية والأوردة التي لا تتوقف عن النزيف، صرخات المصابين ومطالباتهم ليّ برصاصة الرحمة، كُل ذلك دفعني للهرب من (قبو الموت) وإفراغ ما بمعدتي بأكملها.

كُنت أظُن ان إصطفاف الجرحى على ضفاف مهبط جومراك في إنتظار فيض رحمات لوفتوافا وإجلائهم وهجومهم على الطائرات وتشبُثهم بأجنحتها وذيلها وسقوطهم قتلى فور إقلاعها كأنهم ذُباب يتساقط بفعل الريح أقسى ما يُمكن أن أراه في تلك اللحظات، كان ظلك كُله وهم ومجرد تسليةً أمام ما وقعت عيني عليه في قبو الموت، يجب الخروج من هذا المستنقع الدامي ونجدة هؤلاء الرجال مالمحونين بين البرد القاتل والأوبئة ونيران الجيش الأحمر

((أحداث حقيقية))

بأي شكلٍ كان واية تضحيةً قد يتكلفها الأمر، تذكرت كلِمات (تشيكوف) لباولوس عبر رسوله، فبرقت الفكرة برأسي.

إنفعت راكضًا تجاه هذا المتجر بقلبِ المدينة والذي تحول إلى مقر قيادة الحرب وبه باولوس وجنيرلاته بعدما اندفع السوفييت لداخل المدينة وتم تقسيمنا بداخل المدينة إلى جيبين صغيرين للغاية، نت أرى الخف في أعيُن كُل من قابلني في الطريق، كان جميعنا يخشى ما فعلناه بالسوفييت ولم يتوقع أحدنا منهم الرحمة فكُنا نخشى أن يُفعل بنا ما فعلناه فيهم، وصلت أخيرًا لمقر القيادة واندفعت للداخل بجنون، كان القادة في دفء من نيران المدفئة ويبدو عليهم التغذية السليمة ويشعلون السيجار ويحتسون البراندي واللحم أمامهم، تذكرت حسرة أكلي مع جنودي لحم الجثث والبرد الذي حصد أرواحنا وكُل ما عايشته في هذا الجحيم في لحظات فصرختُ في باولوس قائلاً :

. متى نستسلم تنتهي مُعاناة الرجال، فالجميع يحتضر بالخارج ولكنك لا ترى سوى نفسك سيدي المُشير.

ابتسم في سخرية وأردف وهو ينظر لجنيرالاته:

. النقيب (جيرهارد ديلنجر) يُثير أمر الإستسلام، هو إنسانٌ في زمن ماتت فيه الإنسانية.

توقف عن الحديث فجأة ونهض ليواجهني واقفًا وتابع حديثه:

. أرى أن نُتيح القرار للقيادات الشابة خاصةً وإن كانت واعدة مثلك، فالقرار لك.

اجتاحتني آلاف المشاعر بين الغضب والخوف والكره وصرخت بوجهه:

. الآن تبحثون عن القيادات الشابة!، أين كُنا من قراراتكم الجنونية التي دفعتنا للهلكة، أنت تخشى على رقبتك من إعدام الفوهرر نتيجة قرار الإستسلام الذي لا يملكهُ غيرك وهو ذات القرار الذي سيحفظ أرواح اللاف من جنودك، لكنك لم ترى ولن ترى سوى نفسك، أنظر لجنيرلاتك لقد هربوا وتركُك وحدك معنا تواجه مصير الموت المؤكد؛ فلتتخذ قرارًا واحدًا صحيحًا حُبًا في المسيح ايُها المشير.

نظر إليّ وهربت دموعه وتحدث بلهجةً خالطها الدمع والأسف قائلاً:

. فليُسامحنا الرب، أصدروا أمر الإستسلام بإسمي للجنود، حبًا في الله أسرعوا فليتوق الدم عند هذا الحد.

تم تعميم القرار فورًا استسلم الجيش السادس وانتهت معركة ستالينجراد ولم تنتهي مُعاناة الفيرماخت بعد!، بل بدأت...

******

.. السير على الجثث ..

.. مستودعات الموت ..

.. حسرة الأسر ..

.. لوعة الحُب ..

تحركنا في صفوفٍ طويلة تحت قيادة السوفييت عبر الثلوج إلى المجهول، عشرات الألاف تسير على جُثث أصدقائهم وبني وطنهم، اللعنة على الحرب وعلى الطواغيت التي دفعتنا لتلك الهلكة، لم يكون يتخيل السوفييت أن هذا العدد الضخم سيقع في الأسر، تقاسم معنا السوفييت طعامهم!، كان الوضع غريبًا فلم نلقى إهانة أو

تعذيب أو قتلاً كما فعلنا بهم، تذكرت كلمات تشيكوف وعلمت لما هُزمنا ولما انتصر السوفييت.

عبر السير مئات الكيلومترات في أجواء الشتاء القارص، سقط منا الألاف قتلى بشكلٍ جنوني، فلم تكون تتحمل قواتنا المُنهكة طول الرحلة وتحتاج لعلاجٍ فوري ورعايةً خاصة لم يكون يملكها السوفييت أنفسهم في هذا التوقيت.

وصلنا أخيرًا على مستودعات الأسر نتكدس فيها متجاورين، المستودع الواحد كان يحمل بداخله الألاف منا، فكُنا نعاني أكثر من ضيق التنفس والروائح القذرة فكان الأغلب يبول ويتبرز في ملابسه بلا خجل، والمصابين بالتيفود ورائحتهم البشعة، جميعها عوامل زادت من حسرة الأسر ورفعت معدلات الموت في صفوفنا ونحن تحت الأسر أكثر فأكثر، ما يزيد عن المئة ألف أسير لن يعود منهم للوطن سوى ستة ألاف، تلك كانت الحقيقة التي عشناها.

تزايد الضغط عليّ في مستودع الموت في إحدى الليالي فخرجت من المستودع في الليل لأتبرز واتنشق الهواء، اشتدت الرياح فجأة وأنا بالخارج فهرولت في الظلام الدامس ألتمس الدخول للمستودع فرفض من بالداخل السماح لي بالدخول لشدة الزحام، ركضت للمستودع الآخر وكان نفسُ الرفض توقفت للحظة وأنا ألعن هتلر، لقد بدلنا هذا الشيطان تمامًا فكيف نأمل من عدونا الرحمة ونحنُ

انفسنا لا نرحم من منا في تلك المعاناة والحسرة والأسر، أسرعت لأحد المستودعات فدلفتُ لداخله.

كان المستودع دافء وساكنًا بغرابة ولم تُميز انفي قذارة الروائح فلقد اعتدتها، بسطت يدي لجواري أستلقي فتحسست أنامل أحدهم، حدثته فزعًا :

. أعتذر فلم أقصد أن اضايقك.

لم تأتيني إجابةً فبسطت يدي مرةً أخرى تجاه يده ليصعقني هول ما أنا فيه، لقد كُنت في مستودع الجثث!، ولآن إما أن أبيت فيه برفة الجُثث أو أموت بردًا بالخارج، قضيت ليلتي برفقة الأموات فكانوا أكثر رحمة من جنودنا في الأسر.

اقترب مني في الصباح جنودًا من السوفييت وأمراني بالنهوض وقاداني تجاه أحد المكاتب، كنت أتوقع أن يتم إعدامي فهذا الإعتقاد كان لدى الجميع كُنا نتوقع أن يعدمنا السوفييت، دلفت للداخل فتفاجأت أنهُ مكتب طبيب، وقع علي الكشف وامر بترحيلي للمستشفى لألقى العلاج من التيفونيد!.

وضعوني في سيارةً وتم نقلي للمستشفى على فراشٍ وثير ودافء، تلك هي الليلة الأولى التي يرتاح فيها بدني مُنذُ بداية الحرب، سمعت من إحدى الممرضات أن موتى القوات في السر بلغ الخمسون ألف، وضغط السوفييت بكل قوة لوقف الموت في أسرانا بكل السبل، لكن

الأوبئة وضعف التغذية تحول بينهم وبين محاولات السيطرة على الموت، لم ترحل المرضة قبل أن تُعلمني أن هنالك طبيبة سوف تأتي صباحًا من (لينين جراد) للكشف علي والمساعدة في علاجي، ما ان بسطت جسدي على الفراش حتى رحلت لعالمٍ من الأحلام.

ايقظتني الملائكة في ثوبها الأبيض، فتحتُ عيني لأرى جمالاً لم تراهُ عيني قط قبل هذا اليوم، كانت الطبيبة القادمة من لينين جراد هي من يوقظني، بدأت بالحديث معي قائلة:

. ما اسمك؟.

تلعثمت وانا اغرق في بحور عينيها واجبت:

. جيرهارد ديلنجر.

أجابتني دون ان تتوقف عن عملها:

. راشيل، وأنا يهودية، لا تقلق سأظل إلى جوارك حتى تُشفى.

أصابتني كِلماتها في سويداء روحي، فكيف لها أن تعالجني بعدما فعلهُ هتلر باليهود!، رحلت من الغرفة ولم ترحل عني أفكاري السوداوية، فبالتأكيد سوف تقوم بتسميمي أو تركي أُعاني حتى الموت، قطعت علي أفكاري الممرضة بقدومها وحديثها لي:

. هل تعرفت على طبيبتك؟.

. نعم ولكن هل هي حقًا يهودية؟!.

نظرت لي في غضب وأجابتني:

. نعم وقتل كامل أسرتها في قصفٍ لكم على لينين جراد، ولكنها طبيبة وإنسانة لا تُشبه قادتكم، وإن كان يُهمك الأمر فأنا اسمي فاطمة ومسلمة وها أنا أرعاك مُنذُ أمس، لا تخف على حياتك فنحنُ ديننا الأصلي هو الإنسانية، أتمنى أن تعتنقه ويعتنقهُ قادتك.

القت كلِماتها ورحلت بعد أن أوقدت في صدري نيرانٌ لم تشتعل قبل اليوم قط، هي نيران الحُب لهذا الملاك المُرسل لي ليُخلصني من جحيم هذه الحياة، لم تغفل عني اعيونها طوال مدة إقامتي بالمستشفى ولم تغفل عنها عيني، حتى أتى قرار خروجي من المستشفى ولم أنسى نظراتها لي التي قالت بها ألاف الكلمات وأنا أودعها ولا دفء يدها ولا دموع كلينا، كان ذلك كُله ما حدث يا سيدي وما سردتهُ لضابط التحقيقات السوفييتي وقتها.

أشار المخرج للمصورين بوقف الكاميرات، واقترب مني بأعيُن مذهولة سائلاً :

. هل عانيت كل ذلك يا سيد جيرهارد وتمكنت من المرور به؟.

. كان ذلك مُنذُ أكثر من ستون عام؛ الان هل أكملت تصوير فيلمك عن المعركة؟ .

. نعم ولم يبقى سوى اختيار الإسم فما رأيك في ترشيح إسم له.

.(المرجل) لتُسميه المرجل.

نهضت من جلستي وأنا أتجه للمغادرة الأستديو فقاطعني بسؤاله لي:

. سيد جيرهارد، ألست نادمًا على تركِكَ (راشيل) وهي أول حُبٍ بحياتك؟.

استدرت إليه وناظرًا وتعالت ضحكاتي وأجبته.

. وهل كُنت أملك خيار تركها؟!، لم تُغادرني أو أُغادرها مُنذُ إلتقينا وصار لنا ثلاث أولاد وهي تنتظرك اليوم لتتناول غذائك معنا وتسمع منها قصتها؛ فلا تتأخر.

****

تمت

ملحوظة هامة ،،،،،

تصدُر سلسلة بارانورمال إليكتروني، قصة إسبوعية كُل خميس على حساب الكاتب على فيس بوك بشكلٍ دائم، فتابعوا الجديد دائمًا .

تعريف بالكاتب

باسم زكي / روائي وسيناريست مصري

حاصل على درجة بكالوريوس الإعلام

مؤسس تطبيق ليالي عربية للنشر

صدرت لهُ ثلاث أعمال ورقية وهي

رواية (كوما_العائدون من الموت)

يناير ٢٠١٩ عن دار أُكتب للنشر والتوزيع

ورواية (الجبيرة) عن دار الكنزي للنشر والتوزيع

بذات التاريخ .

وأحدث أعماله رواية

بارانورمال_باسم زكي

((أحداث حقيقية))

(المُظلّم_أرض النور) يناير ٢٠٢٠ عن دار الكنزي للنشر والتوزيع

بارانورمال_باسم زكي

((أحداث حقيقية))



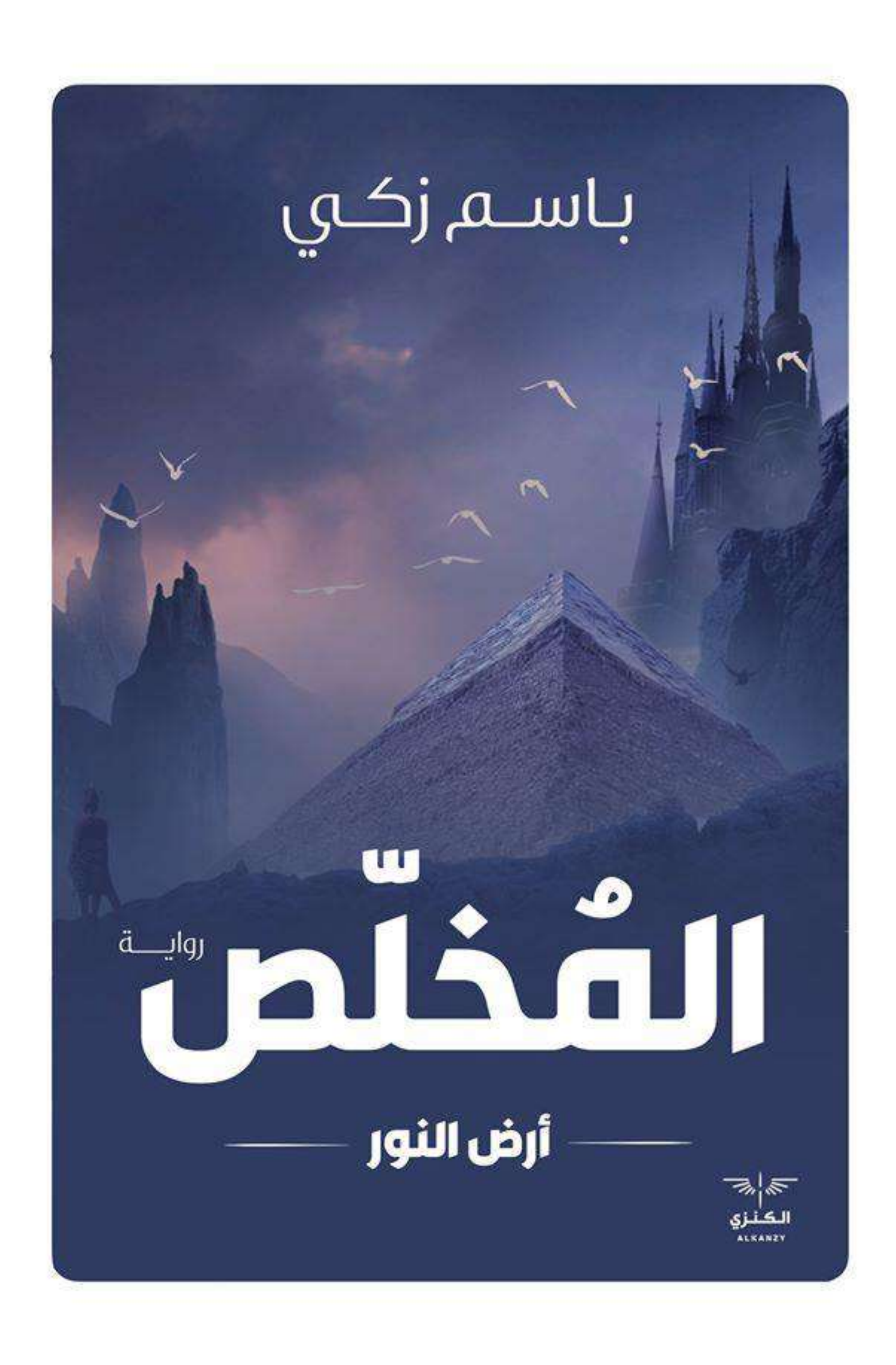
بارانورمال_باسم زكي

((أحداث حقيقية))



بارانورمال_باسم زكي

((أحداث حقيقية))




ليالي عربية
ARABIAN NIGHTS